www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحياء المفتقد

جمع وترتيب

علي بن قاسم علي

مكتبة سلسبيل

٢٤٥٢٢٩١٩ ٠١٠٦٧٦١٢١٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كل الحقوق محفوظة

رقم الايداع

٢٠٠٨/١٩٤٤٥

مكتبة سلسبيل

ش العزيز بالله – حدائق الزيتون – القاهرة ٢٤٥٢٢٩١٩ – ٠٦٤٦١٢١٩

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة

الطبعة الثالثة

الحمد لله الذي أنشأ وبرى، وخلق الماء والثرى، وأبدع كل شيء ذرى، لا يغيب عن بصره دبيبُ النمل في الليل إذا سرى، ولا يعزب عن علمه ما عَنَّ وما طرى، اصطفى آدم ثم عفا عما جرى، وابتعث نوحًا فبنى الفلك وسرى، ونَجَّى الخليل من النار فصار حَرُّها ثرى، ثم ابتلاه بذبح الولد فأدهش ببصره الورى، أحمده ما قُطع نهارٌ بسيرٍ وليلٌ بسرى.

وأصلي على رسوله محمد المبعوث في أم القرى، وعلى أبي بكر صاحبه في الدار والغار بلا مِرى، وعلى عمر المحدث عن سرِّه فهو بنور الله يرى، وعلى عثمان زوج ابنتيه ما كان حديثًا يفترى، وعلى عَلِيٍّ بحر العلوم وأسد الشرى... وبعد:

فإنَّ الناظر المدقق اللبيب لأحوال المسلمين يرى أن أمتنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسلامية -إلا من رحم ربي- قد اتبعت مناهج أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والعلمانيِّين والمنافقين وأذنابهم في كثير من المعاملات والأخلاقيات والسلوكيات، ولعلَّ هذا من أعلام نبوته ﷺ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ تبعتموهم»، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!»[1] قال النووي رحمه الله: «والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر».

فكانت النتيجة الحتميَّة لاتباعنا لنهج أعدائنا أن كثرت وتكاثرت علينا الفتن والنكبات، وحلَّت المصائب وادلهمَّت الخطوب بهذه الأمة وصدق الله تعالى إذ يقول في محكم تنزيله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وكلما كثرت الفتن وزاد الفسوق قل الصالحون وندر المستمسكون بهذه الشريعة الغراء.

ولقد حَذَّر النبي ﷺ من كثرة الفتن وأتباعها فقال لزينب

(١) متفق عليه.

بنت جحش حينما سألته فقالت: «يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون»؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[1].

فكلما كثرت الفتن وازداد الفجور كان هذا نذيرًا بذهاب الصالحين وأهل الفضل والخير فيحصل الهلاك العام.

ولقد أرشدنا نبيُّنا الصادق ﷺ عن واقعنا -نحن المسلمين- اليوم، وعما ينبغي علينا فعله في أثناء مواجهتنا لهذه الفتن بنوعيها سواء كانت فتن شبهاتٍ أو فتن شهواتٍ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنٌ القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرَّف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذًا فَلْيعِذْ به»[2] قال النووي: «وفي الحديث بيان لمعنى الفتنة، وبيان عظم خطرها، والحث على تجنبها، والهرب منها والحذر من التسبب في شيء منها».. ونقل ابن الجوزي عن بعض أشياخ الشام أنهم قالوا: «من أعطي أسباب

(١) متفق عليه.
(٢) متفق عليه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفتنة من نفسه لم ينجُ آخرًا ولو كان جاهدًا»[1].

وذكر الشيخ العلامة السعدي رحمه الله[2]: «أنه في آخر الزمان يقل الخير وأسبابه، ويكثر الشر وأسبابه، وأنه عند ذلك يكون المتمسك بالدين من الناس أقل القليل، وهذا القليل في حالة من الشدة والمشقة من قوة للمعارضين وكثرة للفتن المضلة (فتن الشبهات والشهوات)، والشكوك والإلحاد والانصراف إلى الدنيا وانهماكهم فيها ظاهرًا وباطنًا وضعف الإيمان وشدة التفرد لقلة المعين» اهـ.

نعم هذا واقع المسلمين حيث كثُرت الفتن المضلة التي أضلت بعض المسلمين عن الصراط المستقيم وعن الأخلاق الإسلامية الزاكية القويمة، فصار إيمان المسلمين ضعيفًا، وأصبحت قلوبهم متفرقة وجهودهم مبعثرة، هذا هو شأن أمتنا المسلمة في هذه الأيام، فالناظر المدقق يرى أن مجتمعنا المسلم قد وصل إلى حالة مزرية من الانهيار السياسي،

(١) ذم الهوى لابن الجوزي ص٧٥ ط.دار الكتب العلمية.

(٢) راجع شرح جوامع الأخبار، الشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، دار الريان للتراث.

والتدهور الاقتصادي، والانحدار الاجتماعي، والضياع الأخلاقي، ولعل هذا ظاهرٌ جليٌّ لكل ذي عينين، فالمجتمع الحالي ساد فيه الفساد بكل صوره وأشكاله وأنواعه، وعَمَّت في أرجائه الفوضى وتفشَّت فيه الإباحية، بل صار المجتمع متحررًا من الروابط الإيمانية والقيود الإسلامية -إلا من رحم ربي-.

حتى إنك ترى في مجتمعات المسلمين من شرب من كأس الشيطان حتى الثمالة وغرق في مستنقع الرذيلة دون رادع من خلق أو دين، في وسط كل ما ذكرت آنفًا من الفتن ضاع أصل من أصول بقاء الأمم عامة، وأمتنا الإسلامية خاصة، هذا الأصل هو الأخلاق الكريمة والتي أعلى الله سبحانه من شأنها في شريعته، فحثَّ عليها ورغَّب فيها، وجعلها أثقل شيء في الميزان يوم توضع الموازين ليوم القسط، وجعلها من مكملات الإيمان فالعامل بها من أقرب الناس من رسوله الكريم يوم القيامة...

ولأن الحياء هو خلق الإسلام، فإن هذا يعني سيادة هذه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفضيلة على كل الفضائل، وامتلاكها لناصية المنهج الأخلاقي بحيث يكون لها تأثير كبير في كل مفردة من مفردات الأخلاق، بل إنها تتجاوز ذلك لتمسكها بتلابيب الأخلاق الاجتماعية كلها..

ولأننا نعيش أزمة أخلاقية عالميَّة ومحليَّة، فنحن في أشد الاحتياج للعودة الصادقة لأخلاق هذا الدين، ثم لأخلاق سيد المرسلين ﷺ ابتداءً بالتوحيد، وانتهاءً بإماطة الأذى عن الطريق...

لهذا كله ولخطر هذا الموضوع.. ولأن الحياء هو جماع الخلق الإسلامي، وهو أحد القسمات المميزة للسلوك السويِّ والحضاريِّ للإنسان، وهو من جملة الأخلاق التي كادت رياح الفتن أن تعصف بها..

رأيت بعد الاستخارة والاستشارة أن أُذكِّر إخواني بهذا المعنى الجليل، وهذا الخلق العظيم...

ولست أدَّعي أنني أهلٌ لذلك، بل كان يتردد في ذهني وفي أعماق قلبي وأنا أكتب هذه الرسالة في أثناء دراستي بالمرحلة

الثانوية. قول القائل:

وغَيْرُ تقيٍّ يَأْمُرُ الناس بالتُّقَى

طَبِيبٌ يُداوي الناس والطَّبِيبُ

ولازلت على رأيي إذ إنني أعتقد اعتقادًا جازمًا لا يشوبه أدنى شك أو ريب أنه لا ينبغي أن يتكلم عن خلق الحياء إلا من توفرت لديه الأهلية، علمًا وعملاً وحالاً..

ولا أتوهم أنني طبيب قد عوفي من كل بلاء، بل على العكس نسأل الله أن يسترنا، وأن يجعل تحت الستر ما يرضى به عنا، ولكن الذي دفعني إلى تصنيف هذه الرسالة هو شعوري بالمسئولية لا الشعور بالأهلية، وهذا ما استنبطته من فهمي للقاعدة الأصولية (من عَدِم الماء تيمَّم بالتراب)..

وأخيرًا:

فلتكن أخي القارئ حريصًا على اكتساب الخلق الحسن، مجاهدًا لنفسك، ومروضًا لها، حتى تُرزق بالأخلاق الحسنة.

ونسأله -سبحانه- أن يُحسِّن أخلاقنا، وأن يرزقنا التمسك بأخلاق ديننا، وأخلاق نبينا حتى تزول عنا الأدران، كذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نسأله سبحانه أن يرزقنا التمسُّك بالوحيَيْن الشريفَيْن في القول والعمل والاعتقاد والسلوك، هو ولي ذلك والقادر عليه...

وكتبه..

أفقر الخلق إلى الله...

علي بن قاسم علي..

٠٠٢٠١٢٣٨٨٣١٦٥

تمهيد

الأصل أن الإنسان متدين بفطرته، ويميل إلى الأخلاق الفاضلة بطبعه، وهذه العلاقة يحكمها بُعدان هما :(١)

(١) استعرت هذه الفقرة من كتاب «دراسات في النصوص القرآنية والحديث» للدكتور أحمد عبد الرحمن النقيب. ص٨٤، ٨٥، ٨٦. ط. دار الحارثي للطباعة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

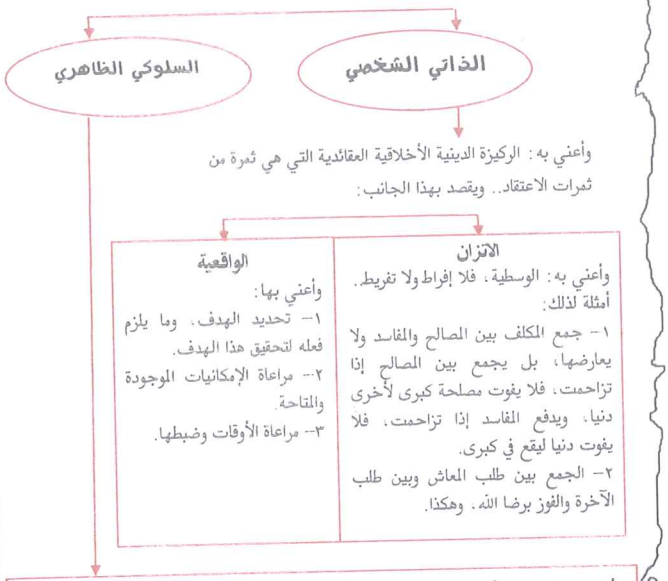

والناظر في الوحيين (الكتاب والسنة) يجد أنهما عنيا بالأخلاق أيّما عناية، يتضح ذلك من خلال استقراء الآيات المبثوثة فيه ما يدل على عظم هذا الأمر..

يقول تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ويقول سبحانه: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، قوله عز وجل: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وغيرها من الآيات الدالة على قيمة الأخلاق في الإسلام باعتبارها شعيرة من شعائره.

بل لقد أثنى الله على نبيِّه ومصطفاه في كتابه، فمدحه قائلًا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

كذلك فالناظر في السنة النبوية يجد أنها عنيت بالأخلاق عناية عظيمة.. حيث أخبر ﷺ أنه: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق، وإن صاحب الخلق ليبلغ به درجة صاحب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصوم والصلاة»[1].

كذلك فإن النبي ﷺ بَيَّن «أن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[2] (أي: قائم الليل، وإنما أعطي صاحب الخلق الحسن هذا الفضل لأن الصائم والمصلي يجاهدان أنفسهما في مخالفة حظها، وأما من يُحسِّن خلقه مع الناس مع تباين طبائعهم وأخلاقهم فكأنه يجاهد نفوسًا كثيرة فأدرك ما أدركه الصائم القائم فاستويا في الدرجة بل ربما زاد)[3].

ونجد أن خيرية المرء وكمال إيمانه تكمن في إحسانه إلى الخلق والزوجة[4].

وجعل النبي ﷺ حسن الخلق علامة من علامات كمال

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٨)، والترمذي (٢٠٠٣)، وأحمد (٦/ ٤٤٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٠)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٨) واللفظ له، ورواه أحمد (٢/ ١٧٧) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٢٢).

(٣) تحفة الأحوذي (٧/ ١٠٧).

(٤) مراجع الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني (٢/ ٦٥) ط. دار العلم.

الإيمان، فقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا»[1].

والخلق الحسن له مكانة عظيمة إذا عمل به المرء، حيث يرفعه إلى مرتبة عظيمة وهي محبة الله، ويا له من شرف عظيم يمنحه لذلك العبد العامل بتلك السجايا الكريمة[2].

وحتى رسول الله يحبه ويُقربه من مجلسه الشريف ﷺ يوم الدين.. كما في حديث عبد الله بن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة» فأعادها مرتين أو ثلاثًا. قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «أحسنكم أخلاقًا»[3].

مما سبق تتضح أهمية الأخلاق في الإسلام إذ هي حقيقة الدين، لذا ترى النبي ﷺ يربط الأخلاق بالإيمان ربطًا محكمًا،

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٥٠)، وابن حبان (٢/ ٤٧٦)، والحاكم (١/ ٣) وقال: صحيح الإسناد، وهو كما قال راجع صحيح الجامع (١٢٣٠).

(٢) يشهد له حديث أسامة بن شريك قال: كنا جلوسًا عند النبي صلى الله عليه وسلم فكأنما على رءوسنا الطير ما يتكلم منا متكلمٌ إذ جاءه أناس فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم أخلاقًا». والحديث رواه الطبراني بإسناد حسن.

(٣) رواه أحمد (٦٧٣٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا كان النبي ﷺ فسَّر الدين على أنه منهج متكامل ومن شعائره الأساسية «الأخلاق»، فإنه ﷺ حصر الأخلاق وفضائلها في فضيلة واحدة هي الحياء[1].

إذًا فالحياء رأس هذه الأخلاق الكريمة، وهو فرع عن الرفق[2]، لذلك فإنه ينبغي علينا أن نتخلق به في حياتنا كلها..

في الأقوال وفي الأعمال وفي أثناء المعيشة والمخالطة وفي السلوك الذاتي..

قد تقول: لقد حفزتني لمعرفة «هذا الخلق النبيل» بشيء من التفصيل، فماذا تعني كلمة «الحياء»؟ وما المراد بها؟!

(١) راجع، وانظر حول هذه الفكرة بحث «صلة الأخلاق بالعقيدة والإيمان» تأليف سليمان بن صالح الغصن ص١٠، ١١، ١٢. ط.دار العاصمة.

(٢) بعض الأخلاق ربما يدخل تحت نظيره خصوصًا وعمومًا، أو جنسًا وأفرادًا فلا بأس أن تتصور بعض الخلال مشتركة بين أكثر من خلق.

معنى الحياء

الحياء لغة: مصدر قولهم: حَيِيٌّ ،وهو مأخوذ من مادة: (ح ي ي) والتي تدل على الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة.

قال الأزهري: للعرب في هذا الحرف لغتان: استحيا الرجل يستحي بياء واحدة، وبيائين والقرآن نزل بهذه اللغة الثانية كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾ [البقرة: ٢٦] والثلاثي منه: حييت منه أحيا، وهو بمعنى الانقباض والانزواء[1].

وقال ابن منظور[2]: الحياء التوبة والحشمة، ومنها قولهم:

(١) راجع المفردات للراغب (١٤٠)، الفتح (١/ ٥٢) ط.دار الحديث.

(٢) لسان العرب (١٤/ ١٠٧) ط.مجمع اللغة العربية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لَـوْلَا الْحَيَـاءُ لَعَـادَنِي اسْتِعْبَارُ

ولَـزُرْتُ قَـبْرَكِ والْحَبِيـبُ يُـزَارُ

وقال ابن القيم رحمه الله: الحياء مشتق من الحياة، ومنه الحياء للمطر لكن هو مقصور» اهـ(١).

وقال الزمخشري(٢): والحياء تغيُّرٌ وانكسارٌ يعتري الإنسان من تخوف ما يُعابُ به ويُذَمُ.

والحياء اصطلاحًا:

«هو خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق»(٣).

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٠).

(٢) الكشاف للزمخشري (١/ ١١٢)، ط.دار العلم بجدة.

(٣) فتح الباري (١/ ٥٢)، شرح صحيح مسلم (٢/ ٦).

* فائدة: يقول الجوهري في كتابه «الصحاح» باب الياء فصل الحاء (٦/ ٢٣٢٤).

الحيا (بالقصر) المطر، والحياء (بالمد) بمعنى الاستحياء، ويُطلق على رحم المرأة والناقة، وذلك لأنها مواضع للحياء تقتضي الفطرة سترها.

والاستحياء: فطرة في بني الإنسان تفرض عليهم الشعور بالخجل عند الوقوع في أمر فيه مخالفة للعرف، أو ما هو في قوة العرف مما تواتر المجتمع على احترامه.

معنى الحياء في لسان السابقين:

قال ذو النون:« الحياءُ: وجود الهيبة في القلب من وحشة ما سبق منك إلى ربك، والحب يُنْطِقُ، والحياء يُسْكِت، والخوف يُقلق».

وقال السَّرِيُّ:« الحياء والأُنس يطرقان القلب، فإن وجدا

---

* ومن هنا وجدنا المعاجم اللغوية التي تبحث عن الدلالات اللغوية البحتة، بعيدًا عما ينم بها من دلالات جانبية يفرضها النحو اللغوي تقول: إن الحياء هو الاستحياء.

والنظرة اللغوية تشير إلى بُعْدٍ آخر وهو العلاقة اللفظية الواضحة بين الحياء والحياة، إذ إن الحياء مدد للفضائل والقيم، كما أن الحيا وهو المطر يُحيي الأرض، وينشر الخصب، وإذا كانت الحياة تعني الحيوية والعطاء، والنمو والتأثير فإن الحياء يعني ذلك كله بالنسبة للمنهج الأخلاقي في كل أعراف البشر عمومًا، والحياء خصوصًا.

وهذا يؤكد لك أن الأخلاق ليست من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي ترتضيها الشرائع ويحترمها عقلاء البشر.

* ومن هنا تبدو قيمة الحياء باعتباره وسيلة حضارية تبني التقدم الأخلاقي، والسمو السلوكي، كما تؤكد إنسانية الإنسان وأفضليته على الكائنات التي تشاركه الحياة على الأرض، من هذا الجانب اللغوي تتبدى القيمة الكبيرة لفضيلة الحياء بارتباطها اللفظي بالحياة، هذا الارتباط الذي يعني صلة معنوية بقدر الصلة اللفظية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فيه الزهد والورع وإلا رَحَلا»[1].

وذَكَرَ الشيخ ابن عثيمين في شرحه لكتاب رياض الصالحين[2]: «أن الحياء هو صفة في النفس تحمل الإنسان على فعل ما يجمل ويزين، وترك ما يدنس ويشين، فتجده إذا فعل فعلًا خالف المروءة استحيا من الناس، وإذا صنع شيئًا محرمًا استحيا من الله عز وجل».

(١) راجع أدب الدنيا والدين للماوردي ص١٩٨، والمدارج (٢/ ٢٧١) والشفا للقاضي عياش (١/ ٦٨)، والداء والدواء ص٩٣، والمروءة وخوارمها للشيخ مشهور حسن ص٥١.

(٢) شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٢/ ٤٧٩) ط دار البصيرة.

هل الحياء هو الخجل؟

يجيبنا على هذا السؤال الراغب الأصفهاني فيقول[1]:« وأما الخجل فحيرة النفس لفرط الحياء، ويُحمد في النساء والصبيان ولكن ليس على إطلاقه، ويُذم باتفاق من الرجال، والوقاحة مذمومة بكل إنسان إذ هي انسلاخ من الإنسانية، وحقيقتها لجاج النفس في تعاطي القبيح، واشتقاقه من: حافرٍ وَقاح: أي صُلْب، وبهذه المناسبة.. قال الشاعر:

يا ليتَ لي مِنْ جِلْدِ وجْهِكَ

فأُقُدَّ منْهَا حافرًا للأَشْهَبِ

(١) في كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة ص١٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما أصدق قول الشاعر:

صَلابَةُ الوجْهِ لم تغْلبْ علَى أحَدٍ

إلَّا تكامَلَ فِيهِ الشَّرُّ واجْتمَعَا

ومما سبق يتضح أن الخجل هو أثرٌ من آثار الحياء، ويكون من شدَّته، وقد يكون ممدوحًا، وقد يكون مذمومًا، بخلاف الحياء الشرعي الذي هو ممدوح على الإطلاق من الجميع.

شبهة والرد عليها

زعم بعضهم[1]: «أن الحياء مركب من جُبن وعفَّة، ولذلك لا يكون المستحي فاسقًا، ولا الفاسق مستحيًا، لتنافي اجتماع العفَّة والفسق، وقلَّ ما يكون الشجاع مستحييًا، والمستحي شجاعًا، لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة» اهـ.

وفي هذا نظر: إذ الحياء لا ينافي الشجاعة أصلًا، ولا مانع من اجتماع الحياء والشجاعة في محل واحد كما اجتمعا في أشجع الخلق وأشدِّهم حياءً: النبي ﷺ، وإنما جاء الخلط في مفهوم الحياء عند من سَوَّى بين الحياء والعجز والضعف؛

(١) وهو الراغب الأصفهاني في كتابه «الذريعة» ص٧.

والحياء براءٌ من ذلك كله، لأنه ذلك الخلق الرفيع الذي يسمو بصاحبه عن درجة البهائم ويرتفع به عن مواطن اللَّوم والعيب، ويرقى به من صفات النقص إلى التحلي بصفات الكمال، ومن ثمَّ كان شعبة من شعب الإيمان، فكيف يجتمع مع الجبن الذي استعاذ منه النبي ﷺ؟!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حكم الحياء

بالتأمل نجد الحياء قد يدخل في جل أعمال الإنسان وأقواله، ولذلك فلا بد أن يكون له حكم في شرع الله المطهَّر، فقد يمنع الحياء الإنسان أن يقع في الحرام، فعند ذلك يكون حكمه الوجوب، لأن ترك الحرام واجب وما يؤدي إلى الواجب فهو واجب، وإذا منع الحياء صاحبه عن مكروه شرعًا، فحكم الحياء يكون الندب، لأن ترك المكروه مندوب مستحب، وأما إذا كان الحياء قد منع صاحبه من فعل شيء مباح، فهذا من كمال خلق الحياء عند صاحبه، إذ قد يستحي من فعل المباح خشية أن يُستدرج إلى ما هو مكروه.

ولعل ما ذكرنا هو معنى قول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «إن كان في محرم فهو واجب، وإن كان في مكروه فهو مندوب،

وإن كان في مباح فهو العرفي، والمباح ما يقع على وفق الشرع إثباتًا ونفيًا»[(١)].

وقال في موضع آخر: «المأمور به الواجب، والمندوب يستحيا من تركه، والمنهي عنه الحرام، والمكروه يستحيا من فعله، وأما المباح فالحياء من فعله جائز وكذا من تركه، فتضمن الأحكام الخمسة»[(٢)].

وجملة القول[(٣)]: إن الحياء هو ذلك الخلق الكريم الذي يحث على فعل المليح واجتناب القبيح، ويدفع صاحبه إلى عدم التقصير في حق ذي الحق، وهو داخلٌ في الأحكام الخمسة[(٤)].

(١) انظر فتح الباري (١/ ٧٥).

(٢) راجع الفتح (١٠/ ٥٢٣).

(٣) انظر هذه الجزئية بشيء من التفصيل في رسالة «الحياء خلق الإسلام» ص١٥، ١٦، ٣٤، إعداد إدارة الدعوة- قسم الدعوة والإرشاد شعبة الدراسات الدعوية التابعة لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر.

(٤) راجع فتح الباري (١/ ٧٤)، فيض القدير (١/ ٤٣)، ١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحياء لماذا؟!

والسؤال الذي يسأله كل منا لنفسه: لماذا نتحلى بالحياء؟!

والجواب: إن الحياء ملاك الخير، وهو عنصر النبل في كل عمل يشوبه، بل لو تجسَّم الحياء لكان رمزًا للصلاح والإصلاح، لذا ترى المسلم الملتزم حريصًا على التجمل بالأخلاق الإسلامية القويمة -لا سيما- خلق الإسلام «الحياء»، لأن الحياء خلق عظيم وأدب فاضل كريم، فصاحب الحياء في مِنَّةٍ يُغْبَطُ عليها من المؤمنين العقلاء الخُلَّص الذين يحبون معالي الأخلاق وينئون عن سفاسفها[1]، أضف إلى ذلك أن هذه الفضيلة ذات السلطان الأخلاقي على سائر الفضائل وراءها بواعث تعزز

(١) السفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم. راجع الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٠٨).

وجودها في أعماق النفس الإنسانية، وتجعل منها ما يُشبه العقيدة التي تفرض الالتزام بها، وتجعل منها حكمًا في السلوك الفردي والجماعي..

ولكل خلقٍ كريم باعثٌ معينٌ هو عبارة عن المردود الأدبي والمادي الذي يعود على من يتحلى بهذا الخلق ويتمسك به، ولكن خلق الحياء يُعزِّز وجوده بواعث متعددة، وأسباب مختلفة منها:

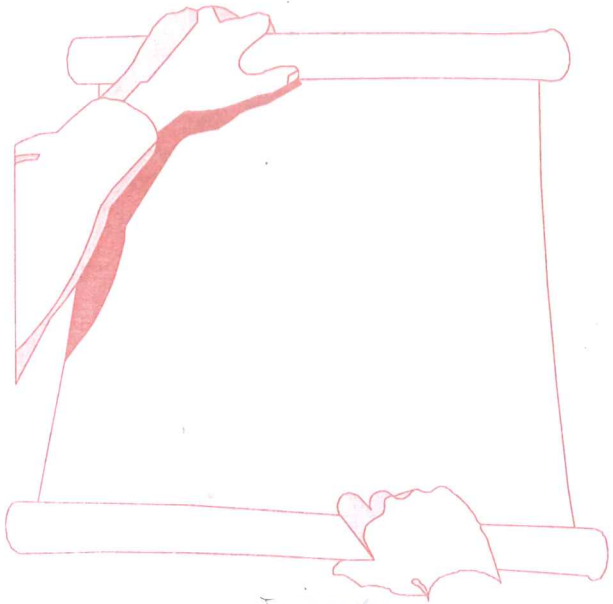

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولًا:

الحياء مرتبط بالعقيدة

ارتباطًا وثيقًا

إن الناظر المدقق يجد أن علاقة العقيدة ببناء الأخلاق علاقة قوية وحميمة إذ من المقرر في الإسلام أن كل أموره المشروعة لا تقوم إلا على أصل الإيمان بالله، فإذا انتفى الإيمان انتفى العمل...

كذلك فالأخلاق لا تقوم إلا على أصل العقيدة (أي: منبثقة منها فيكون العمل بالأخلاق من أجل الله، عند ذلك تكون الأخلاق -وفي مقدمتها خلق الإسلام الحياء- من مقتضى الإيمان ومكملاته).

وباستقراء النصوص القرآنية والنبوية نجد العلاقة واضحة بين العقيدة والأخلاق، فعلى سبيل المثال: إذا دققنا

النظر في كتاب الله وجدنا أن المنهج الأخلاقي خاصة الحياء ينبع من العقيدة، ولعل هذا واضح حيث عرض القرآن الكريم منهجًا كاملاً للعقيدة، وهذا المنهج القرآني يبدأ من قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢]، كما ختم بقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٩].

وسر ذلك: أن العقيدة القويمة التي تعني الرابطة الوثيقة برب هذا الوجود هي أقوى ضمان للالتزام بالمنهج بما تغرسه في النفس من فضيلة الحياء التي تتوفر على تتبع آثارها البناءة في مجتمع المسلمين.

وهذا المنهج هو سلسلة من العلاقات، بالله وبالوالدين، وبذي القربى وبالمجتمع، وبالمال، كما يشير إلى السلبيات التي يجب التنائي عنها من أجل الحفاظ على استقامة الخلق، وصحة الدين، ورشد السلوك..

كذلك فقد ربط النبي ﷺ بين الإيمان والحياء، إذ من المعلوم أن الحياء خلق عظيم إذا وقر في القلب أنتج سلوكًا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قويمًا كما في قوله ﷺ: «إن الحياء والإيمان قرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»[1].

بل وجعله النبي ﷺ شعبة من شعب الإيمان، وخصَّه بالتعظيم بين الشُّعَبِ كما في قوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان»[2].. وقد تقرر أن ذكر الخاص بعد العام يدل على التعظيم...

وحذَّرنا النبيُّ ﷺ من ضياع هذا الخلق، والاستهتار به، فقال ﷺ: «...، ولا إيمان لمن لا حياء له»[3].

بل وبين النبيُّ ﷺ في أكثر من موطن أن كمال الإيمان مرتبط بحسن الخلق، قال ابن تيمية: (فجعل ﷺ كمال الإيمان في كمال الأخلاق)[4].

ولقد أدرك سلفنا الصالح -رحمهم الله- مدى ارتباط

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٣١٣)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢٩٧)، والحاكم (٥٨) وصححه على شرطهما والبيهقي في الشعب، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٠٣)، والمشكاة (٥٠٩٤).

(٢) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

(٣) رواه مسلم (٥٧-٥٨)، وأحمد (٢/ ٤١٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٧٠).

العقيدة بالأخلاق، وأن هذا الارتباط بينهما بمثابة الأساس والبناء، لذلك عدُّوا الجانب الأخلاقي من مكملات العقيدة التي بها يتحلون، وبها يتميزون عن غيرهم...

قال ابن القيم رحمه الله: حسن الخلق هو الدين كله، وهو من حقائق الإيمان وشرائع الإسلام... ثم قال رحمه الله: «فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين»[1].

ومما يؤكد أن العقيدة والأخلاق عموماً -والحياء خصوصًا- بينهما علاقة قوية: هو أنه ما أن يستقر الإيمان في القلب حتى يثمر أخلاقًا عظيمة نابعة من ذلك الإيمان فتجد المؤمن للخيرات باذلًا، وعلى المخلوقات مشفقًا راحمًا، وعن الفواحش مباعدًا، كذلك فهو للحقوق مؤدٍ، يتبرَّأ قلبه من الأحقاد والأغلال، كذلك يتبرأ من الأقوال والأفعال المخالفة للشرع...

(١) المدارج (٢/ ٣٠٦، ٣٠٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيًا:

للحياء فضله في الكتاب والسنة

باعتباره من أجلّ وأعلى الأخلاق السامية

ولعل هذا واضحٌ جليٌ حيث إنه لما جاء الإسلام رفع من شأن الحياء وحضَّ عليه، وامتدح أهله في القرآن الكريم والسنة المطهرة الثابتة، فأبرز القرآن الكريم خلق الحياء كما في قوله تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥]

درس قرآني فريد

إن هذه الآية بمثابة درس فريد من دروس القصص القرآني:

إنه يعطينا صورة للمرأة في ظل الالتزام بالقيم والفضائل الإسلامية، -عامة- والحياء خاصة.

فقد تخرج المرأة إلى الشارع لضرورة ملحة، لتقضي حوائجها، ومع ذلك لا تفارقها فضيلتها التي تعتز بها (أعني فضيلة الحياء). التي هي للمرأة زينة وجمال وكمال..

نلمح ذلك مما ذكره القرآن عن الرجل الصالح الذي استضاف نبيَّ الله موسى، وزوَّجه من إحدى ابنتيه عندما استبان له إمكانات موسى وقدراته، والتي اكتشفتها إحدى ابنتيه التي قالت: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ۝﴾ [القصص: ٢٦].

ولكن بيت القصيد إنما يتضح من خلال حديث القرآن الكريم عن الفتاة التي جاءت تدعو موسى للقاء أبيها، وتتوخى الآية صفة معينة اتصفت بها الفتاة في مشيتها وحركتها، وفي قولها وكلامها... إنها صفة الحياء..

والملاحِظ لتعبير الآية (على استحياء) يؤكد ما لها -أعني صفة الحياء- من أثر بالغ في سلوك الفتاة، إذ إن هذا التجسيد يعني أن الحياء لا ينفصل عن كيانها..

يؤكد على هذا العلامة السعدي رحمه الله فيقول:

«وهذا يدل على كرم عنصرها، وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة وخصوصًا في النساء، ويدل على أن موسى عليه السلام لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يُستحيا منه عادة، وإنما هو عزيز النفس حيث رأت من حسن خلقه ومكارم أخلاقه ما أوجب لها الحياء منه»[1].

(١) تفسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي: ص٥١٤. ط.الرسالة.

وقال عمر رضي الله عنه: «ليست بسلفع من النساء خَرَّاجةَ، ولَّاجة، لكن جاءت مستترة على استحياء».

قال ابن كثير: «وكما ترى فهو موقوف على عمر، نقل ابن كثير عن الجوهري قوله: السلفع[1] من الرجال الجسور، السلفع من النساء الجريئة السليطة»[2].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

قال السعدي طَيَّب الله ثراه: «والأمر الشرعي إن كان يتوهم أن في تركه أدبًا وحياءً، فإن الحزم كل الحزم في اتباع الأمر الشرعي، وأن يجزم أن ما خالفه ليس من الأدب في شيء، والله لا يستحيي أن يأمركم بما فيه الخير لكم والرفق لرسوله كائنًا ما كان»[3].

(١) المرأة السلفع: أي الخَرَّاجة الوَلَّاجة: والتي تكثر من الخروج من بينها من غير انضباط بضوابط الشرع، وقيل هي: المرأة الجريئة قليلة الحياء.

(٢) تفسير القرآن لابن كثير (٣/ ٣٩٧) ط.دار مصر للطباعة.

(٣) السعدي: ٦١٧ ط.مؤسسة الرسالة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحياء في السنة

كما بلغ من تقدير الإسلام لخلق الحياء أن حثَّ رسول الله ﷺ على التحلي به، ثم بيَّنَ بجلاء فضائل هذا الخلق الكريم.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، وما كان الحياء في شيء قط إلا زانه»(١).

وعن عمران بن حصين أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»(٢).

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٦٥٥).

(٢) متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء والعِيُّ شعبتان من الإيمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»(١).

بل وحَكَمَ النبي ﷺ حكمًا شرعيًّا في الزواج باعتبار هذا الخلق، فجعل الشرع الحياء من البِكْر وعدم نطقها دلالة على رضاها بالزواج، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله ﷺ عن الجارية ينكحها أهلها أتستأمر أم لا؟ فقال لها الرسول ﷺ: «نعم تستأمر»، فقالت: فقلت له: إنها تستحي فقال: «فذلك إذنها إذ هي سكتت»(٢).

وكل الأدلة المذكورة آنفًا تدل دلالة واضحة على فضل خلق الحياء وأهمية التخلق به في كل أحوالنا.

(١) رواه الترمذي والحاكم وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠١)، والمشكاة (٤٧٩٦).

قال الترمذي: والعيُّ: قلة الكلام، والبذاء: هو الفحش في الكلام، والبيان هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء والذين يخطبون فيوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله.. اهـ.

(٢) البخاري (٥١٣٧)، ومسلم (١٤٢٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثالثًا:

الحياء
أحد شعب الإيمان

سبق أن أشرنا إلى أن الإيمان يرتبط بالقيم الأخلاقية العالية ارتباطًا وثيقًا، وهذه القيم نرى الحياء محورها وركيزتها، وسنسوق جانبًا من الأحاديث الشريفة التي أبرزت قيمة هذه الفضيلة مع إلقاء نظرة متدبرة في مدلولاتها لنكشف عن مقاصدها.

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر**»[1].

إن هذا الحديث يقدم تأكيدًا واسع المدى بالعلاقة القوية التي تربط عقيدة الإيمان بفضيلة الحياء حتى إنه جعل وجود

(١) سبق تخريجه.

أحدهما مرتبطًا بوجود الآخر، وإذا افتقد الإنسان إيمانه افتقد حياءه، وإذا وجد نفسه بلا حياء، فهذا يعني أنه إنسان ناقص الإيمان..

وهذا الحديث عندما ربط هذه الفضيلة بالإيمان، وهو الكيان الخلقي الأساسي للإنسان، وهو الذي يحكم سلوكياته ومعاملاته يسوق دلالة بالغة الأهمية هي أن الحياء هو السمة البارزة للمشروع السلوكي والأخلاقي والحضاري الذي قدمه الإسلام لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة**» أو قال: «**بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان**»[1].

عندما ننظر إلى هذا الحديث الذي أشار بإيجاز إلى شعب الخير التي تنبع من الحقيقة الإيمانية وأنها بلغت بضعًا وستين، أو بضعًا وسبعين حسب اختلاف الروايات في ذلك، نجد النبي ﷺ جعلها متدرجة من أدنى إلى أعلى، ولكل شعبة

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكانتها في سلم الإيمان، ففي القمة «لا إله إلا الله» كلمة التوحيد ركيزة البناء، وقاعدة الانتماء، وأقوى الحقائق وأوثقها في دنيا الناس، وأول واجب أوجب الله على الناس تعلمه، وخير كلمة نطقت بها ألسنة البشر، وتتتابع القيم إلى أدنى حتى إن النبي ﷺ يَعُدُّ هذه السلوكية اليسيرة التي لا تكلف صاحبها جهدًا يُذْكَر وهي: إماطة الأذى عن الطريق قيمة إيمانية، وذلك لأن فاعلها عندما يُقدم عليها يكشف عن نفس مشرقة صافية وضاءة تحب الخير للآخرين كما تحبه لنفسها، وترفض الأذى أن يقع بالناس، كما ترفضه أيضًا لنفسها، ولعلها تستشعر حياء إذا رأت على الطريق ما قد يؤذي، ثم تمر به مرور غير الكرام..

قد تقول: ولماذا لم يذكر النبي ﷺ سائر شعب الإيمان الأخرى؟!

يجيبك الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فيقول[1]: «ولقد ترك النبي ﷺ بيان شعب الإيمان ليحرص الواحد على تتبعها من

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٧٩)

الكتاب والسنة والعمل بها»، وقد اجتهد البيهقي رحمه الله في تتبعها وألَّف فيها مؤلفه الماتع الرائع المسمى بـ «شعب الإيمان»، وهو من أحسن ما كُتب في هذا الباب.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[2].

إن هذا الحديث يُضيف بعدًا آخر لمكانة فضيلة الحياء في المنهج الإسلامي، إذ يعده النبي ﷺ جزءًا من الكيان الإيماني العقدي للإنسان المسلم، وهذا يوحي من أول الأمر بأن الحياء فضيلة وعقيدة، وأنه ينتهي بالفرد والمجتمع إلى حسن العاقبة.

كما نرى الحديث الشريف يواصل إبراز مكانة الحياء مبينًا الآثار السلبية والهدامة إذا ذهب الحياء وحلَّ محله الجفاء، وما

(١) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم، وصححه الألباني (٣١٩٧).
(٢) رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وغيرهم في الصحيحة (٤٩٥)، والمشكاة (٢٠٧٧) بهذا اللفظ.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يتبعه من تهتك وابتذال، وانحراف وضلال، وامتهان لكرامة الإنسان، الأمر الذي يُحدد النهاية الحتمية في ظل هذا الضلال إلى النار..

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان»[1].

ذكر النووي في شرحه لهذا الحديث: قوله: «يعظ أخاه في الحياء»: أي ينهاه عنه، ويُقبح له فعله، ويزجره عن كثرته، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك فقال: «دعه فإن الحياء من الإيمان» أي: دعه على فعل الحياء وكف عن نهيه، ووقعت لفظة «دعه» في البخاري ولم تقع في مسلم[2].

وأشد ما يلفت النظر أن النبي ﷺ بعد أن يذكر البداية والنهاية

(١) متفق عليه.

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٢/ ٥-٧) ط.دار الحديث.
وقد يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: «لماذا ذكر الحياء على وجه الخصوص من بين شعب الإيمان جميعًا؟!» والجواب: لأن جميع شعب الإيمان من الحياء، والحياء منها، فكان الإيمان قرين الحياء يبقى ببقائه ويذهب بذهابه...

يأتي إلى شعبة معينة فيذكرها بعينها، وتلكم هي شعبة الحياء، وما كان ذلك في تصوري إلا لما يرتبط بهذه القيمة من فضائل، ولدورها الرئيس في حماية السلوك العام، وحراسة ثغور الأخلاق.

فإن قيل: كيف يُعتبر الحياء الغريزيُّ من الإيمان مع أنه لا دخل للعبد في اكتسابه، والله تعالى يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾؟ [النجم: ٣٩].

أجاب عن ذلك العلماء فقالوا:

إنما جُعل من الإيمان، لأنه قد يكون تخلقًا واكتسابًا كسائر أعمال البر..

وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، فهو بذلك يكون من الإيمان، ولكونه أيضًا باعثًا على أفعال البر ومانعًا من المعاصي»[1].

ويؤكد على هذا أيضًا الحافظ ابن حجر فيقول:

والحياء من الغرائز، فكيف جعل شعبةً من الإيمان؟ أجيب بأنه: قد يكون غريزة، وقد يكون تخلقًا ولكن استعماله وفق الشرع

(١) راجع كلام الإمام القاضي عياض في شرح صحيح مسلم (٢/ ٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية، فهو من الإيمان لهذا ولكونه باعثًا على فعل الطاعة، وحاجزًا عن المعصية ولا يقال: «رُبَّ حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير». لأن ذلك ليس شرعيًا[1].

كما يؤكد الإمام الخطابي على هذا المعنى فيقول:

معنى قوله: «الحياء شعبة من الإيمان» أي: الحياء يحجز صاحبه عن المعاصي، فصار من الإيمان، إذ الإيمان ينقسم إلى: «ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه»، وذكر البغوي: «أنه لما كان الحياء سببًا يمنع صاحبه عن المعاصي كالإيمان، عُدَّ الحياء من شعب الإيمان، وإن لم يكن أمرًا مكتسبًا»[2].

ويقول ابن الأثير رحمه الله:

«وجُعل الحياء من الإيمان، لأن المستحي ينقطع بحيائه عن المعاصي وإن لم تكن له تقية فصار كالإيمان الذي يقطع بينها وبينه، وإنما جعله بعضه لأن الإيمان ينقسم إلى: ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه»[3].

(١) فتح الباري (١/ ٥٢).

(٢) شرح السنة للإمام البغوي (١/ ٣٥-٣٦) ط.المكتب الإسلامي.

(٣) راجع النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ٤٧٠-٤٧١).

رابعًا:

الحياء
دليل حياة القلب

تقدم أن الحياء مشتق من الحياة، ولما كان تأثير الخُلُق على القلوب بيِّنًا، وكان الحياء خلقًا يحث على الفضائل واجتناب الرذائل، ولما كانت الرذائل تنكت في قلب صاحبها نكتًا سوداء كما في حديث النبي ﷺ[1]: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكته سوداء فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب صُقلَ قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [المطففين: ١٤].

وفي هذا دلالة قوية على أن الحياء من أعظم أسباب حياة

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٩٧)، والترمذي (٣٣٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، عن أبي هريرة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القلوب، ويؤكد هذه الحقيقة الإمام ابن القيم فيقول:

وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم»[1].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٠).

خامسًا

الحياء يكسو المرء وقارًا

فمن المعلوم لدى ذوي الألباب أنه لا بقاء لأمة لا أخلاق لها، لذا قال الشاعر:

إنَّما الأُمَمُ الأخلاقُ ما بَقيت

فإن هُمُو ذَهَبَتْ أخلاقُهُمْ ذَهَبُوا

ولهذا فإن صاحب الحياء تراه ممدوحًا بين الناس، وتلمحه محبوبًا بين جميع البرايا والخلق، ولقد بيَّن النبي ﷺ فضل خلق الحياء:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«إن لكل دين خلقًا وخلق الإسلام الحياء»[1].

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «ما كان الفحش في الشيء قط إلا شأنه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه»[2].

قال المناوي: «وفيه إشارة إلى أن الأخلاق الرذيلة مفتاح كل شر بل هي الشر كله، وكذلك الأخلاق الحسنة مفتاح لكل خير»[3].

ولقد تصدر الحياء طليعة الخصائص الأخلاقية لهذه الملة الحنيفية كما أسلفنا، ولهذا فلقد حث الشارع الحكيم المؤمنين على التخلق بهذه الأخلاق الفاضلة، وأمرنا بالاجتهاد في تحصيل معالي الأخلاق مع إلزام النفس بالتحلي والتزين بالأخلاق الحسنة لذا قال الشاعر:

هي النَّفْسُ إنْ تُهْمَلْ تُلازِمْ
وإنْ تَنْبَعِثْ نَحْوَ الْفَضَائِلِ تَلْهَجْ

(١) رواه ابن ماجه (٤١٨٣)، وأبو يعلى (٣٥٧٣)، والطبراني في الأوسط (١٦٥٨) عن أنس، ورواه ابن ماجه (٤١٨٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٢٠) عن ابن عباس، وله شاهد رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٠٥ (١٦١٠) والراجح والله تعالى أعلم أن الحديث ضعيف.

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٦٥٥)، والمشكاة (٤٨٥٤).

(٣) راجع قول المناوي في فيض القدير (٥/ ٤٦١) ط.دار الحديث.

ولقد حذرنا النبي ﷺ أشدَّ التحذير من الفحش والتفحش في الأقوال والأعمال والأخلاقيات، وأخبرنا أن انتشارها من أشراط وعلامات الساعة.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أشراط الساعة: الفحش والتفحش وقطيعة الرحم وتخوين الأمين وائتمان الخائن»[1].

فليجتهد كل منا في الالتزام بالأخلاق الحسنة وليكن من سوء الأخلاق على حذر، وليعلم كل منا أنه على قدر الحياء والخوف والرهبة من الرب تعالى، وعلى قدر التخلق بصالح الأخلاق على قدر ما يكتب الله لهذا العبد من قبول بين الخلق، ثم يُكسى الوقار والتبجيل بين البرايا، وهذا لا يكون إلا بتوفيق الرب. قال الشاعر:

إذَا لم يكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى
فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٩٠)، صحيح الجامع (٥٨٩٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سادسًا:

الحياء من الأسباب الجالبة لمحبة الله ورضوانه

إن التخلق بخلق الحياء من الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى ورضوانه وتوفيقه ومعيته، ذلك لأن الحييَّ يحمله حياؤه على استقباح الجناية، وبغض المعاصي التي حَرّمها الله على المؤمنين، كذا فإن الحياء يدفع العبد دفعًا لكي يرتقي بنفسه ويسمو بأخلاقه ويعمل جاهدًا للاستكثار من الطاعات والخيرات، ويحرص على اجتناب المعاصي والذنوب والزلات، هدفه من ذلك تحصيل محبة الله تعالى ورضوانه، وهذا لا يتأتى إلا بالحياء من الرب تبارك وتعالى، وانكسار القلب بكليته بين يدي الله

تعالى كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى[١].

ولقد ذكر الحسن رحمه الله قولاً حسنًا، فقال: «من شاهد آلاء الله ونعمه الظاهرة والباطنة حمله ذلك على الاستحياء من الله وإلا فلا قلب حيَّ لهذا العبد»[٢] فحريٌّ بنا جميعًا أن نتخلق بهذا الخلق الكريم، الذي يجلب لنا محبة ربنا، وخالقنا سبحانه وبحمده.

ولقد ذكر ابن القيم- طيَّب الله ثراه- في منزلة المحبة كلامًا قيِّمًا فقال: «ومحبة الله هي المنزلة التي تنافس فيها المتنافسون، وإليها شَخَصَ العاملون، وإلى عملها شَمَّرَ السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تَرَوَّح العابدون فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون.

وهي الحياة التي من حُرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحر الظلمات، ولا يصل إلى هذه المنزلة

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم (٣/ ١٧) ط. مطبعة كلظم، دبي، الإمارات العربية المتحدة.

(٢) العقائد السلفية (٢/ ١٣٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إلا الخُلَّص من المحبين الصادقين المخبتين المتقين...[1]، فصاحب الحياء من الله يصل بحيائه هذا إلى درجة المتقين الذين استحقوا محبة الله ورضوانه[2] ومن ثَمَّ قيل: «الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء»[3].

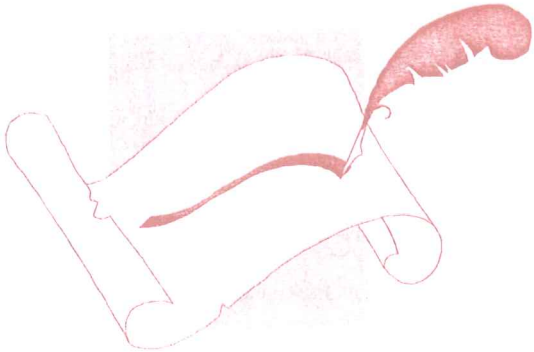

(١) المدارج (٣/ ٦).

(٢) الحياء خلق الإسلام للشيخ محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله - ص ٢٠. ط. دار الإيمان الإسكندرية.

(٣) انظر هذا الأثر وغيره في تفسير ابن جرير الطبري (٨/ ١٤٩).

سابعًا:

الحياء يجلب رضا الله لأن الله يحب الحياء

عن أشج عبد القيس أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن فيك خلتين يحبهما الله عز وجل» قال: قلت: وما هما؟ قال: «الحلم والحياء». قال: قلت: قديمًا كانتا فيَّ أم حديثًا؟ قال: «قديمًا».. قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله عز وجل..»[1].

(١) سبق تخريجه.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثامنًا

نتخلق بخلق الحياء تخلقًا بأخلاق الله تعالى

إن الله تعالى يحب الحياء والستر. قال ﷺ: «إن الله حييٌّ ستير، يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[1].

قال السندي رحمه الله:

إن الله تعالى ساتر للعيوب والفضائح يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقًا بأخلاق الله تعالى[2].

فمن وافق الله تعالى في صفة الحياء قادته هذه الصفة إلى الخير كله.

يقول ابن القيم -لله دره-:

(١) رواه النسائي (٤٠٤)، وصححه الألباني.

(٢) حاشية السندي على سنن النسائي (١/ ٢١٨).

«...من وافق الله في صفةٍ من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامها، وأدخلته على ربه، وأدنته وقربته من رحمته، وصيَّرته محبوبًا له، فإنه سبحانه رحيم يحب الرحماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حييٌّ يحب أهل الحياء...»[1].

(١) راجع الجواب الكافي عمن سأل عن الدواء الشافي للإمام ابن القيم ص٧٧، ٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تاسعًا:

الحياء من سنن الفطرة الدالة على كرم السجيَّة وطيب المنبت

جاء الإنسان إلى هذه الأرض بغرض عمارتها، وجُبِلَ على فضيلة الحياء، ويتكاثر بنو الإنسان، ويتوافدون إلى الأرض الله جيلاً بعد جيل وفي داخلهم نبتة الحياء، غير أن منهم من يستثمرها، وينميها، ومنهم من يتغافل عنها أو يغيبها تحت ضغط الممارسات الضالة الفاسدة الخاسرة، ومع ذلك يبقى كامنًا في أعماق الفطرة... ويتضح ذلك منذ خلق الله الإنسان، وأوجده على ظهر الأرض فمنذ خلق الله آدم وزوجه وأمرهما أن يسكنا الجنة ليأكلا منها رغدًا حيث شاءا، وحذرهما من شجرة بعينها، فوسوس لهما الشيطان فأكلا من الشجرة، ونسيا التحذير، وتورطا في الخطيئة، لكن الذي يُلفت النظر هذه

الظاهرة التي فاجأتهما والتي تحدثت عنها الآية: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢].

لقد وجدا نفسيهما بعد المعصية عريانين!!، ماذا حدث؟!

وكيف نعيش مكشوفي السوأة، إن هناك نداءً من أعماقهما يهزهما ويدلهما على أن ما حدث أمر يجب الإسراع في معالجته، وتواتيهما الحيلة، يسرعان إلى جمع أوراق الجنة، ويخصفان منها ثيابًا تواري هذه السوأة التي انكشفت..

وفي هذا دليل على أن فضيلة الحياء فطرة في الإنسان، ولازمة له في مسيرته..

إنه الكائن الوحيد الذي ينبغي أن تُستر سوأته، وغيره من الكائنات كما نراه لا يهمه العري، إنما يهم الكائن المكرَّم، المستخلف الذي هو الإنسان، وهذا الأمرالأخلاقي يُولِّد في النفوس تقوى الله، ويغرس فيها فضيلة الحياء..

ثم تواصل الآيات التي تتحدث عن فطرية الحياء حديثها مذكرة الإنسان بأعداء هذه الفضيلة وهم إبليس وجنوده

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذين أنظرهم الله للإغواء، وستتجه خطتهم في الفساد إلى سلب هذه الفضيلة العظمى، ودفع الإنسان إلى العري، الأمر الذي يقع عندما يتورط الإنسان في معصية مولاه.

يقول سبحانه: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧].

ثم جاءت نعمة التوبة التي علمها الله إياها.. يقول سبحانه: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

وهكذا ظلت الفطرة الإنسانية باعثًا على الحياء، حيث عاشت مع البشر في تاريخ طويل على الأرض يُلبون نداءها، فإذا الحياء يحكم سلوكياتهم، وقد يغفلون أمرها، ويتنكرون لها، فيغالبهم الاستهتار، ووقاحة السلوك وضلال السعي.

ولعل فطرية الحياء هي التي تفسر وجوده في بعض المجتمعات غير المتدينة إلى حد ما، وكذلك في بعض

المجتمعات التي لا تدين بدين سماوي.

ولا عجب في ذلك فلقد كان سلطان الحياء الفطري قائمًا حتى في جاهليةٍ غابت عنها قيم الدين الحق، وبقي الحياء يفرض سلطانه، بمنطق العقل والنظرة العميقة، وهما بسبب قوي يربطهما بالحياء، بل إنهما يثريان هذه الفضيلة، ومعهما البصر نسبي الحياة، وفي مقدمتها قضية الموت والحياة[1].

فمثلًا: نرى عنترة العبسي يعاتب صاحبته المشفقة عليه من خوض الأهوال، واقتحام غمرات الحروب، والتعرض لهلاك وشيك، ويجيبها صاحبها البطل بإجابات تدل على القوة والشجاعة، مطالبًا إياها بالحفاظ على فضيلة الحياء، فأنَّى لبطل مثله أن يتراجع، والحرب ضروس، وقد قوي فيها البأس، واحمرت الحدق؟ فيقول:

بَكَرَتْ تُخَوِّفُني الحُتُوفَ كَـأَنَّني
أَصْـبَحْتُ عَـنْ غَـرَضِ الحُتُـوفِ

(١) وليس أدل على ذلك من وجود لفظ الحياء، والاستحياء ومشتقاتها في اللسان العربي، وهذا فيه دلالة واضحة على رسوخه في الفطرة العربية القديمة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأَجَبْتُهَا إِنَّ المَنِيَّةَ مَنْهَلٌ

لا بُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ المَنْهَلِ

فَاسْقِنِي حَيَاءَكِ لا أَبَا لَكِ

أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

وباستقراء تاريخ العرب وحياتهم الاجتماعية، وجدنا أن هذا الخلق كان مشهورًا عند العرب القدامى حتى إن كثيرًا من الشعراء آنذاك قالوا الكثير من الأشعار التي تدلك تلميحًا أو تصريحًا على حب هؤلاء للحياء..

كما وصف النابغة الذبياني (حياء امرأة النعمان) حين مرت بمجلسه فسقط نصيفها (أي برقعها) الذي كانت قد تقنعت به، فسترت وجهها بذراعها، وانحنت على الأرض لترفع نصيفها بيدها الأخرى. وفي ذلك يقول النابغة:

سَقَطَ النصيف ولم تُرِدْ إسقاطه

فتناولتـــه واتقتنـــا باليـــد

وهذا حاتم الطائي كان ينشد الشعر قائلًا:

إذا ما بِتُّ أُخْتَلُ عرس جاري ... ليخفيني الظلام فلا خفيتُ

أأفضح جارتي وأخون جاري ... فلا والله أفعل ما حييتُ

كذلك يقول مسكين الدارمي:

ناري ونار الجارة واحدة ... وإليه قبلي تنزل القِدْرُ

ما ضَرَّ جاري إذ أجاوره ... أن لا يكون لبيته سترُ

أعمى إذا ما جارتي خرجت ... حتى يواري جارتي الخِدْرُ

وهذا أبو سفيان يسأله هرقل عن أقرب الناس نسبًا لنبينا ﷺ فأجابه أبو سفيان قائلًا: أنا أقربهم له نسبًا، فأمر هرقل أن يدنو أبو سفيان وأصحابه منه ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا الرجل، فإن كَذَبَنِي فَكَذِّبُوه، فقال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يَأْثِرُوا عليَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ[1].

وفيه دلالة على أهمية هذا الخلق باعتباره من الأخلاق الحسنة للعرب حتى قبل إسلامهم، فعلى الرغم من عداوة هؤلاء للدعوة الإسلامية ولصاحبها ﷺ إلا أنهم استحيوا أن يكذبوا بشأنه حتى لا يؤثر عنهم الكذب.

وهذا عرف كريم تواصت عليه هذه الأمة في جاهليتها،

(١) رواه البخاري (٣٨٧٧)، ومسلم (١٦٢).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتستحي أن تخالف هذا العرف، وهذه الفضيلة من بين القيم الموجودة فيهم، وبسببها اجتباهم الله ليكونوا أمة الرسالة الخاتمة.

وقيل: إن أبا بكر الصديق كان يتمثل بهذا الشعر:

وحاجةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحَتْ لَهَا

جعلْتُهـا للَّتـي أخْفَيْـتُ عُنوانًـا

وإنِّي لَأَرَى مَـنْ لا حَيَـاءَ لَـهُ

ولا أَمَانَـةَ وسـطَ القَـوْمِ عُرْيانًـا[1]

وظلت الفطرة الإنسانية باعثًا على الحياء حتى آزرتها بواعث أخرى، آخر هذه البواعث وأقواها وأهمها «الدين الحق» الذي جعل الحياء محورًا هامًا لكل فضيلة إنسانية، خاصة وأن العباد يميلون بفطرتهم إلى الله، وإلى دينه.

فهم لا يجدون سعادة في هذه الدنيا إلا إذا توجهت قلوبهم وجوارحهم إلى بارئها وفاطرها دون ما سواه.

صحيح أن الحياء النابع من فطرة الإنسان قد يحركه

(١) الواعظ الحثيث ص١٧٨.

بواعث أخرى ليس وراءها الدين، ولكن يبقى الدين هو المحرك الأول للتخلق بهذا الخلق الكريم.

فالحياء فطرة فطر الله الناس عليها وصدق ربي إذ يقول: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] فالحياء فطرة فطرها الله في الفطر السوية.

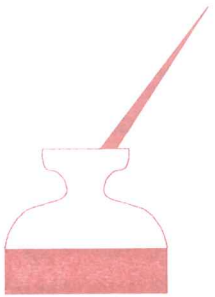

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عاشرًا

الحياء من سمات الأنبياء

لقد بَيَّنَ ﷺ أن الحياء لم يزل مستحسنًا في شرائع الأنبياء الأولين وأنه لم يُرفع، بل تداوله الناس بينهم وتوارثوه عنهم وتواصوا به قرنًا بعد قرن، ولقد ثبت في ذلك أدلة كثيرة في صحيح السنة منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان حييًّا ستيرًا لا يُرى من جلده شيء، استحيا من الله، فآذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر إلا من عيب بجلده إما برص، وإما أدرة...»[1].

(١) متفق عليه، والآدر: بهمزة ممدودة ثم دال مهملة مفتوحة ثم راء... تعني: عظيم الخصية.. كما في شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٢٦).

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح»[1].

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[2][3].

(١) رواه الترمذي (١٠٨٠)، وله طريق آخر في المسند (٥/ ٤٢٥) وله شواهد كثيرة أشار إليها الترمذي، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم (٧٦٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٨٣)، (٦١٢٠) واللفظ له، وأخرجه أبو داود ٤٧٩٧، وابن ماجه (٤١٨٣).

(٣) هذا الحديث عليه مدار الإسلام، وعدَّه الكتابي في كتابه «نظم المتناثر» من المتواتر، وذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: الحياء من الإيمان.

شرح المفردات: «إن مما أدرك» أي ما وصلهم وبلغهم، فتوارثوه وظفروا به وبقي مأثورًا لديهم.

وبين ذلك بقوله: «من كلام النبوة الأولى» أن من كلام أصحابها، والمراد بالنبوة الأولى: النبوة السالفة قبل نبينا صلى الله عليه وسلم، لأنه جاء في شريعة آدم، واتفقت عليه الأنبياء بعده إلى أن أدركناه في شريعتنا، فلم يُنسخ في شريعة من الشرائع، لأنه أمرٌ قد علم صوابه وظهر فضله، واتفقت على حسنه العقول، وتلقته الأمم بالقبول.

وفي هذا الحديث جملة من الفوائد:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١- الفوائد العقدية: ففي قوله صلى الله عليه وسلم: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» : فيه إشارة إلى عقيدة المسلمين في النبوات، حيث يعتقد المسلمون نبوة من قصَّ الله عليهم خبره تفصيلاً عن المرسلين، ومن لم يقصص عليهم خبره إجمالاً.

كذلك ففي هذا ردٌّ على الجبرية لإثبات مشيئة العبد -كما قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله في شرحه على الأربعين النووية ص٢١١.

٢- الفوائد الأصولية: يستفاد من الحديث أيضًا: العمل بما وافق شرعنا من الشرائع السابقة، وهذا أصل معروف عند علماء الأصول بقولهم: «شرع من قبلنا شرعٌ لنا» ولكن بشروط منها:

١- أن يكون النقل عن شرع من قبلنا من مصادرنا الإسلامية (الكتاب والسنة).

٢- ما ثبت دليل نسخه بشرعنا فلا حجة فيه.

٣- ما قام الدليل على تخصيصه بمن كان قبلنا فهو لا يسري علينا، (كتحريم بعض أجزاء اللحوم على بني إسرائيل).

٤- ما ثبت بالنص أنه مقررٌ في الإسلام كما كان مقررًا في الأديان السماوية السابقة فمستند ثبوته هو النص الإسلامي لا بالحكاية عمن سبقنا.

وعليه، فما وُجِد من شرع سابق جاءت به المصادر الإسلامية ولا يوجد ما يدل على بقائه ولا إلغائه من سياق النص نفسه فيكون شرعًا لنا، وهذا مذهب المالكية وبعض الشافعية والحنابلة والحنفية، ومما يؤيد ذلك قوله تعالى: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده} [الأنعام: ٩٠]، وقوله: {ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفًا} [النحل: ١٢٣].

وهذا مبسوط في كتب الأصول فارجع إليه في مظانه، وراجع بحث «وقع شرع من قبلنا من الأدلة فيما شرعه لنا ربنا عز وجل للشيخ عبد الله بن عمر

قال ابن دقيق العيد رحمه الله: «معنى قوله: (من كلام النبوة الأولى): أي أن الحياء لم يزل ممدوحًا مستحسنًا مأمورًا به، لم يُنسخ في شرائع الأولين»[1].

وأما عند تأويل بقية الحديث: فأحدهما: ظاهر مشهور وهو: أي: إذا لم تستحِ من العيب، ولم تخش العار مما تفعله، فافعل ما تُحدثك به نفسُك من أغراضها حسنًا كان أو قبيحًا، ولفظه أمر، ومعناه: توبيخ وتهديد، وفيه إشعارٌ بأن الذي يردع الإنسان عن مواقعة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة، وتعاطي كل سيئة.

قال الحليمي: «المراد به الدلالة على أن عدم الحياء يدعو إلى الاسترسال الذي لا يؤمن أن يسوء عاقبته، وإن أعظم الموانع من القبائح عند العقلاء الذم،وهو فوق عقوبة البدن، فمن طاب نفسًا بالذم، ولم يخشه فلم يردعه عن قبيح ما هو رادع،

الشنقيطي من ص١١٢: ١٢٠. ط.دار الطباعة والنشر الإسلامية، وانظر أيضًا في «شرح الأربعين النووية» لأبي عبد الله محمد يسري (٢/ ٨٣٧، ٨٣٨) ط.دار اليسر.

(١) راجع شرح الأربعين النووية ص٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا يلبث شيئًا حتى يرى نفسه مهتوك الستر، مثلوب العرض، ذاهب ماء الوجه، لا وزن له ولا قدر، قد ألحقه الناس بالبهائم، وأدخلوه في عدادها، بل صار عندهم أسوأ حالًا منها، فنبه بهذا القول على ما في ترك الاستحياء من الضرر، لينتهي عنه، ونستشعر من الحياء ما يردع عن إتيان القبيح، فيؤمن من مغبته»[1].

والثاني: أن يحمل الأمر «فاصنع ما شئت» على بابه، فيكون المعنى: إذا كنت في فعلك آمنًا أن تستحي منه لجريك على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يُستحيا منها، فاصنع ما شئت[2].

قوله ﷺ: «فاصنع ما شئت»..

ما المراد بالأمر في هذا الموطن؟!

لقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في المراد بالأمر في هذا الموضع على قولين:

(١) راجع شعب الإيمان للبيهقي (٦/ ١٤٣).

(٢) النهاية (٥/ ٤٧١) نقلاً عن «فقه الحياء» لشيخنا المفضال د/ محمد بن إسماعيل المقدم، ص٤٩. ط.الدار العالمية بالأسكندرية.

١- **الأمر هنا يفيد الطلب**: والمعنى أنه أمر على حقيقته من طلب الفعل، وقيل: للجواز في الإباحة، ومعنى ذلك: إذا كنت في أمورك آمنًا من الحياء في فعلها، لكونها على القانون الشرعي، أي: مما لا يُستحيا منه شرعًا، فاصنع ما شئت ولا عليك لوم في ذلك، ولا تنظر إلى لوم الغير، فإن ما أباحه الشارع لا حياء في فعله[1].

واعترضه **ابن عبد البر** في التمهيد فقال: «وهذا تأويل ضعيف»[2].

٢- **الأمر لا يفيد الطلب**.. وأصحاب هذا القول لهم تفصيل آخر:

١- فمنهم من قال[3]:أن الأمر هنا للتهديد: ويراد به

(١) ومال إلى هذا القول الإمام النووي رحمه الله، وحكاه ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٤٠).

(٢) الاستذكار لابن عبد البر رقم (٨٥٦٥).

(٣) راجع جامع العلوم والحكم (١/ ٤٩٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التوبيخ والذم أيضًا.. ٢- أنه أمرٌ ومعناه الخبر[١]:

وعلى هذا يكون المعنى: «إذا لم يكن لك حياء فاعمل ما شئت، فإن الله يجازيك عليه، وذلك كقوله تعالى: {اعملوا ما شئتم إنه بماتعلمون بصير} [فصلت: ٤٠].

قال الحافظ ابن رجب: وقد اختاره جماعة، منهم: أبو العباس بن ثعلبة».

والمعنى: أن من لم يستحي صنع ما شاء، فإن المانع من فعل القبيح هو الحياء، فمن لم يكن له حياء يردعه انهمك في الفواحش والمنكرات..

وقد اختار هذا القول جماعة من أهل العلم، منهم: أبو عبيد القاسم بن سلام، وابن قتيبة، ومحمد بن نصر المروزي، ورجحه ابن عبد البر والماوردي.

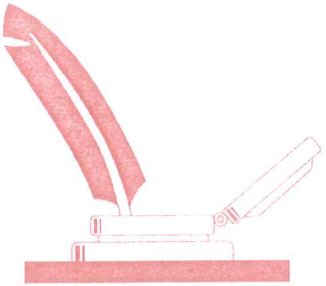

(١) راجع تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٥٦٠)، ومختلف الحديث لابن قتيبة ص١٥٤، والاستذكار لابن عبد البر رقم٨٥٥٥، وأدب الدنيا والدين للماوردي ص٢٩٨.

ذهب الإمام العيني رحمه الله إلى أن الأمر يتضمن معنيين:

١- معنى الوعيد: أي افعل ما شئت تُجازَ به.[١]

٢- أنه على طريق المبالغة في الذم أي تركك الحياءَ أعظم مما تفعله[٢].

وقيل: إن هذا الأمر للجواز، والمعنى: انظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يُستحى من الله ومن الناس في فعله لكونه من أفعال الطاعات، أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة، فاصنع منه ما شئت..

وإن كان مما يُستحى من الله ومن الناس فعله فدعه..

قيل: وعلى هذا مدار الأحكام من حيث إن الفعل إما أن

(١) راجع فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد لفضل الله الجيلاني (٢/ ٥٤) ط.السلفية.

(٢) فائدة: زعم بعض الشراح لهذا الحديث أن كلا المعنيين يمكن حمل الحديث عليه وأسوق لهؤلاء جميعًا كلامًا نفيسًا لابن القيم رحمه الله إذ يقول: «ولا يمكن حمل الحديث على هذه المعاني لما بين الإباحة والتهديد من المنافاة، واعتبار أحد المعنيين يوجب عدم اعتبار الآخر» راجع «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم ص١٣٢. ط.دار الكتب العلمية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يُستحى منه وهو الحرام والمكروه وخلاف الأولى، وفعل ذلك مذموم، أو لا يُستحى منه وهو الواجب والمندوب والمباح، وفِعْل الأولين مشروع، والثالث سائغ (أي جائز).[1]

فمن سقطت صبغة الحياء عن وجهه كان كالقشرة الخضراء التي تتهاوى وتسقط عن العود الغض، ومن كان هذا حاله آذنت حياته الفاضلة بالضمور، فيجترئ على المخالفات ولا يُبالي بالمحرمات.

في هذا يقول صاحب التمهيد: وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه قال: «قلة الحياء كفر»، وبعضهم يرفعه عنه، وهذا صحيح المعنى على الضد لأن من لا يستحي لا يُبالي من العار والمعاصي ما يأتي، كأن المستحي من أجل حيائه مرتدع عن الفواحش والعار والكبائر، لهذا صار الحياء من الإيمان، لأن الإيمان عندنا من التصديق وفعل الطاعات، وأعمال البر، وبهذا صار الخلق الحسن من كمال الإيمان وتمامه على هذا المعنى، لأن

(١) راجع الجواهر اللؤلؤية في شرح الأربعين النووية. تأليف محمد بن عبد الله الجَرْداني الدمياطي، حققه وعلّق عليه أ/ يوسف علي بدري ص١٩٧. ط. دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق - بيروت.

صاحبه يصبر فلا يشفي غيظه بما يُسخط ربه، ويحلم فلا يفحش ولا ينتصر بلسان ولا يد، ونحو هذا مما يخرج عن معنى ما وصفنا[1].

وصدق الشافعي حين قال:

إِذَا لَمْ تَخْشَ عاقِبَةَ الليالي
ولم تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا والله مَا في العَيشِ خَيْرٌ
ولا الدنيا إذا ذَهَبَ الحَيَاءُ
يعيشُ المرءُ ما اسْتَحْيَا بِخَيرٍ
ويَبْقَى العُودُ مَا بقي اللحاءُ

وقال غيره:

إذا لم تَصُنْ عِرْضًا ولم تخشَ خَالِقًا
وتَسْتَحِ مخلوقًا، فما شِئْتَ فاصْنَعِ

ومن الجفاء أن نتكلم عن حياء الأنبياء دون أن نشير إلى من عَلَّم الدنيا كلها الحياء، فهو ﷺ كان مضرب الأمثال في هذا

(١) راجع التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٣٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الخلق المبارك الفاضل حيث كانت له اليد الطولى فيه وفي غيره من مكارم الأخلاق ﷺ.

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر: وقد كان رسول الله ﷺ قد جمع له النوعان -يقصد الحياء الغريزي والحياء المكتسب- فكان في الحياء الغريزي: أشد حياءً من العذراء في خدرها. وكان في المكتسب: في الذروة العليا[1].

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئا يكرهه، عرفناه في وجهه»[2]، فلقد كان حياؤه الغالب عليه ﷺ فطريًا، فكان أشد حياءً من البكر التي لم تتزوج في خدرها، «الخدر هو: ناحية من البيت يُلقى عليه ستر، فتكون فيه البكر أشد حياءً لتسترها حتى عن النساء.

(١) راجع الفتح (١٠/ ٥٢٢-٥٢٣).

(٢) متفق عليه. قال النووي: «العذراء: البكر لأن عذريتها باقية، الخدر: ستر يُجعل للبكر في جانب البيت، والتشبيه بالعذراء لكونها أكثر حياء من غيرها، والتقييد بقوله في خدرها مبالغة: لأن العذراء يشتد حياؤها في الخلوة أكثر من خارجها لأنها مظنة وقوع المعاشرة والفعل بها.

ويؤكد على ذلك القاضي عياض فيقول: وكان النبي ﷺ أشدَّ النَّاس حياءً، وأكثرهم عن العورات إغفاءً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وكان من حيائه ﷺ أنه لا يُثبِّت بصره في وجه أحد، وكان يُكَنِّي عما اضطره الكلام إليه مما يكره[1]، وكان ﷺ أحسن الناس خُلقًا[2] وكان من خلقه ﷺ أنه لطيف العشرة، رقيق الظاهر، لا يُشافه أحدًا بما يكره حياءً.

تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء -أي المكروه- لم يقل: ما بال فلان يقول؟ يعني لم يصرح باسمه، ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟» احترازًا عن المواجهة بالمكروه مع حصول المقصود بدونه[3].

(١) شرح الشفا للقاضي عياض (٢/ ٧٥).

(٢) راجع صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ٣١)، المعلم بفوائد مسلم للإمام المازري (٢/ ٣٠٩) ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وذكره ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٧٠) ورواته ثقات ص٤٠، ومفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم ص٢٧٧ ط. مكتبة الإيمان بالمنصورة.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٨٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٣٦) وصححه الألباني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حياء النبي مع النساء

ومما يدل على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إن امرأة من الأنصار قالت للنبي ﷺ: كيف أغتسل من المحيض؟ قال: «خذي فِرْصَةً ممسكة (قطعة من قطن بها طيب) فتوضئي بها ثلاثًا» ثم إن النبي ﷺ استحيا منها بعد سؤالها له: كيف أتطهر؟ فقال: «توضئي بها»، قالت عائشة: فأخذتها فجذبتها إليَّ فأخبرتها بما يريده النبي ﷺ[1].

وعن أم سلمة أن أم سليم قالت: يا رسول الله؛ إن الله لا يستحي من الحق هل على المرأة غسل إذا هي احتلمت؟ قال: «نعم إذا رأت الماء»، فغطت أم سلمة -تعني وجهها- فقالت: أوتحتلم المرأة؟! قال النبي ﷺ: «نعم، تربت يمينك، فَبِمَ

(١) رواه البخاري (١/ ٣١٥) واللفظ له، ومسلم (٣٣٢).

يشبهها ولدها؟!»[1].

ولعل من الأمثلة التطبيقية من حياة النبي ﷺ في هذا الباب:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بُني على النبي بزينب بنت جحش بخبزولحم، فأُرْسِلْتُ على الطعام داعيًا، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون، فدعوت حتى ما أجد أحدًا أدعو، فقلت: يا نبي الله ما أجد أحدًا أدعوه، فقال: «فارفعوا طعامكم». وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة فقال: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله» فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك، بارك الله لك؟، فتَقَرَّى[2] حُجَر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة، ثم رجع النبي ﷺ فإذا ثلاثة من رهط في البيت يتحدثون وكان النبي شديد الحياء

(١) رواه البخاري (١/ ١٣٠)، ومسلم (٣١٣).
(٢) تقرى: تتبع الحجرات واحدة واحدة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فخرج منطلقًا نحو حجرة عائشة، فما أدري آخبرته أو أُخبر أن القوم خرجوا، فرجع حتى إذا وضع رجله في أُسْكُفَّةِ[1] الباب داخلة، وأخرى خارجة أرخي الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب[2].

وعن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أن أبا مرة مولى أم هانئ بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانئ تقول: ذهبت إلى رسول الله عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة تستره فاستحيا، وقال: «من هذه؟»، فقلت: أنا أم هانئ[3].

وإليك أخي القارئ بعض مظاهر الحياء المحمدي لتتأسى بها وتقتدي:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن النبي ﷺ سبابًا ولا فحَّاشًا ولا لعَّانًا، وكان يقول لأحدنا عند المَعْتِبَة:

(١) أسكفة الباب: عتبته.

(٢) الحديث عند البخاري (٤٧٩٣)، واللفظ له، ومسلم (١٤٢٨).

(٣) متفق عليه.

«مَا لَهُ تَرِبَ جبينه»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة وكان يعفو ويصفح[2].

وكان مجلسه ﷺ مجلس حِكَم وحياء وصبر وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم[3].

وكان ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلانٍ يقول؟ ولكن يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا»[4].

وكان ﷺ إذا أتى باب قومٍ لم يستقبل الباب من تلقاء

(١) رواه أحمد (٣/ ١٢٦) واللفظ له، وأصله عند البخاري (٦٠٣١، ٦٠٤٦).
«ترب جبينه»: كلمة تقولها العرب، وقد جرت على ألسنتهم. ومعناها: خرَّ لوجهه فأصاب التراب جبينه، وهي مما يجري على اللسان ولا يراد حقيقتها.

(٢) رواه أحمد (٦/ ص٢٣٦)، ١٤٦)، والترمذي، وقال الألباني في تخريج المشكاة: إسناده صحيح، وأصل الحديث عند الإمام البخاري رحمه الله تعالى (٢١٢٥).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ١٥٥-١٦٢ (٤١٤)، وذكره بطوله ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٣١، ٣٤)، وقوله: لا تؤبن فيه الحرم: أي لا تُذكر.

(٤) الحديث رواه أبو داود (٤٧٨٨) وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، وانظر الصحيحة (٢٠٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر، ويقول: « السلام عليكم، السلام عليكم»، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور[1].

وما سئل النبي ﷺ عن شيءٍ قط، فقال: «لا»[2].

وكان ﷺ يستحي من الحييِّ، وهذا أعلى مراتب الحياء، كما فعل ﷺ مع عثمان، حيث ترك ﷺ الأمر المباح حياءً ألا يرفع عثمان إليه حاجته لعلمه بحياء عثمان.

وهذا غيضٌ من فيض، وقطرة من بحر حيائه ﷺ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى صحيح السنة والسيرة النبوية، ليقف على عشرات بل آلاف المواقف الخفية والتربوية الدالة على رسوخ هذا الخلق وغيره في الشخصية النبوية الكريمة.

(١) رواه أحمد (٤/ ١٨٩)، وأبو داود (٥١٨٦) واللفظ له، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

الحادي عشر

لأن الحياء هو سمت خير هذه الأمة بعد نبيها وهم الصحب الكرام رضي الله عنهم أجمعين

إن القارئ الجيد لسيرة الصحب الكرام وتاريخهم المجيد سيجد أنه ما من خلق كريم إلا لهم فيه اليد الطولى خاصة الحياء، والذي غلب على طباع وسجايا هؤلاء القوم حتى صاروا مضرب الأمثال عبر العصور، ومن أصدق الأمثلة على ذلك:

سيدنا أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- والذي وقف يومًا في الناس خطيبًا فقال: «أيها الناس استحيوا من الله، فوالله ما خرجت لحاجةٍ منذ بايعت رسول الله، أريد الغائط إلا وأنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقنع رأسي حياءً من الله» [1].

وها هو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «والله إني لأستحي من ربي في كل حركة وسكنة».

وكان رحمه الله ورضي الله عنه يقول: من قَلَّ حياؤه قَلَّ ورعه، ومن قَلَّ ورعه مات قلبه [2].

وها هو سيدنا عثمان بن عفان الرجل الحييُّ الذي قال النبي ﷺ في حقه: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» [3]

وقال ﷺ «الحياء مبدأ الإيمان وأحيا أمتي عثمان» [4].

(١) راجع مكارم الأخلاق ابن أبي الدنيا رقم ٩٢، والزهد لابن المبارك، والحلية (١/ ٣٥).

(٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص ٢٠ نقلاً عن: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم إعداد مجموعة من المتخصصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد، والشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح (٥/ ١٨٠٩) ط. دار الوسيلة.

(٣) رواه مسلم (٢٤٠١) ورواه أيضا (٢٤٠٢) بلفظ: إن عثمان رجل حييٌّ، وإنني خشيت إن آذنت له على تلك الحال ألا يبلغ إليَّ حاجته).

(٤) رواه ابن عساكر عن أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣١٩٨، والصحيحة ١٨٢٨.

وها هو سيدنا علي بن أبي طالب يضرب أروع الأمثلة، والتي لا تنبع إلا من رجل حييٍّ ومن ذلك قوله: كنت رجلاً مذاءً فاستحييت أن أسأل رسول الله، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: «فيه الوضوء» [1].

إن هؤلاء الكرام ضربوا أروع الأمثلة في هذا الباب لأنهم علموا:

أن الحياء هو قاعدة كل فضيلة، وأساس كل قيمة رفيعة في دنيا الناس، ولعل هذا يتضح عندما نقرأ عن عدل عمر الذي بهر الدنيا، ومن قبله ولاء الصديق وعظمته في الاقتداء والاتباع، من بعده عطاء عثمان الذي دهش له أصحاب ا وال الذين استعبدتهم أموالهم، وفدائية علي وفتوته الأخلاقية..

فإذا بحثنا عن الباعث وراء هذه العبقرية في السلوك والتسامي في التعامل لا نجد تفسيرًا مُرضيًا لذلك إلا حياء المؤمن الذي يجعله دائمًا متمثلاً عظمة ربه عند كل قول وعمل،

(١) البخاري (الفتح ١/ ح١٧٨) واللفظ له، ومسلم (٣٠٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بل إنهم كانوا يرون أنهم فيما يأتون وما يدعون يتعاملون مع الله وحده.

والأمثلة في هذا الباب كثيرة جدًا، أذكر منها أيضًا:

ما فعله النبي ﷺ حين كان جالسًا في مجلس علم في مسجده يُعلِّم أصحابه،فمر على مجلسه ثلاثة نفر، أما أحدهم فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه[1].

إن موقف الرجل الثاني يستوقفني..

إنه يملك فضيلة الحياء..

الحياء من أن يترك أكرم مجلس وأطهره وأسماه دون أن يشارك في اكتساب ما فيه من علم صحيح وتوجيه سديد.

وحياء من المجتمع الفاضل الذي قد يسائله عن فرصة ثمينة ضيَّعها.

وقبل ذلك كله حياء من الله أن يترك مجلسًا للعلم على رأسه خاتم رسله..

(١) متفق عليه.

ولما كان الجزاء من جنس العمل تأتي المكافأة أعظم وأكثر، إن رب العالمين لهذا يستحي جل شأنه أن يعذب عبده الذي ملك الحياء منه..

بينما لما غاب الحياء عن الرجل الثالث، ضاع منه خير كثير.

كذلك نتعلم درسًا آخر من مجتمع خير أمة أخرجت للناس وهو يؤدب ثلاثة من كبار أصحابه تأديبًا قاسيًا، يتمثل في مقاطعة حاسمة، يفعل ذلك حياء من الله وحياء من رسوله الذي أمر ولا بد أن يُطاع، ولا بد للمجتمع أن ينصاع..

ابتلي كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع بهذا البلاء الصعب حتى من الزوجات والأولاد وذوي القربى..

نعيش مع هذه القصة أروع تجارب الحياء من الرعيل الأول والذي هو أفضل المجتمعات وأطهرها على الإطلاق.

في هذا الموقف نجد أن الحياء من الله تعالى ومن رسوله ﷺ يمنع الزوجات من التعامل مع الأزواج، ويمنع الأولاد من التواصل مع الآباء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فها هو كعب بن مالك يسير في المجتمع المسلم فلا يُسلم عليه أحد، ولا يكلمه أحد، الكل قد هجره، وهو يصف لنا ذلك فيقول: «فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد...»[1].

ويشتد الأمر على كعب بن مالك حتى أنه كان يأتي رسول الله ﷺ فيسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، ثم ينظر إليه ويقول في نفسه: هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟!

وبلغ الأمر ذروته حتى أن كعبًا يذكر أنه كان حريصًا على الصلاة بالقرب من رسول الله، وكان يختلس النظر إليه مرة بعد الأخرى وكان يقول: «كنت أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليَّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني...».

أرأيت أخي الكريم أن النبي يفعل ذلك إشفاقًا عليه، وحبًّا وتأديبًا له، وعلى الرغم من ذلك فإن فضيلة الحياء تحكم سولكيات كعب كلها، حتى يغالبه الحياء من الله ورسوله ﷺ.

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري (٨/ ٦٨) ح رقم (٢٧٥٧) (٢٩٤٧)، ومسلم (٢٧٦٩)، وأحمد (٦/ ٣٩، ٣٨٧)، والنسائي (٣٨٥٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٨٨٥٦)، والبيهقي في السنن (٩/ ٣٤).

الولاء ثمرة الحياء

وعلى الرغم من هذا الامتحان العسير الذي تعرض له كعب صبر وصابر، بل إن كعبًا ضرب أروع الأمثلة في الولاء لهذه الملة، حين علم الأعداء بما حدث لكعب فيأتيه رسول من الغساسنة ليغريه بترك مكانه في دولة الإسلام، وقال له: «إن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك...»

فيتألم كعب لهذا الإغراء، وكيف يقبله وهو من أشد الناس حياءً من مولاه؟! فقال: «وهذه أيضا من البلاء، فتيممت بهذا التنور فسجرتها..»

انظر إلى الحياء كيف يتنامى في أعماقه حتى إنه يرى الإغواء الوافد من خارج أرض الإسلام هوانًا له، وانتقاصًا من حيائه،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونيلاً من يقينه..

ترى ماذا كانت النتيجة؟!!

إنها البشرى... إنه الفتح... فلقد برأه الله من فوق سبع سموات في آيات تُتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها...

كذلك فلقد ضربت الصحابيات أروع الأمثلة في التحلي بهذه الفضيلة الغالية ومن ذلك:

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه واستقي الماء، وأخرز غَرْبَهُ وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني، ثم قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، فعرف رسول الله أني قد استحييت فمضى، فجئت الزبير، فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه وأناخ لأركب،

فاستحييت منه، وعرفت غيرتك.. فقال: «والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه»[1].

وها هي عائشة رضي الله عنه تصف حياء الأبكار من الصحابيات.. قالت عائشة: يا رسول الله البكر تستحي.. قال: «رضاها صماتها»[2].

وها هي عائشة تسأل رسول الله مستنكرةً أن ينظر الرجال إلى النساء يوم البعث.. قالت عائشة: يا رسول الله: كيف يُحشر الناس يوم القيامة؟ قال: «حفاة عراة»، قلت: والنساء، قال: «والنساء».. قلت: يا رسول الله فما يُستحيا؟ قال: «يا عائشة: الأمرُ أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعض»[3].

فأين هذا مما نحياه في مجتمعاتنا هذه الأيام.. في ظل هذا التبرج المزري، والاختلاط المستهتر والذي صار جزءًا لا يتجزأ من حياتنا اليومية، مما نتج عنه ضياع الحياء، وغياب الرجولة وذهاب الغيرة، وانتشار المنكرات الظاهرة والباطنة.

---

(١) البخاري الفتح (٩/ ح٥٢٢٤).

(٢) البخاري (الفتح ٩/ ح٥١٣٧) واللفظ له، ومسلم (١٤٢٠).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رموز حيائية

وها هي عائشة رضي الله عنها تضرب أروع الأمثلة في هذا الباب حيث قالت: كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله ﷺ وأبي فأضع ثوبي، فأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياء من عمر[1].

بل انظر إلى هذا الخلق الكريم كيف أثَّر في هذه المرأة السوداء؟!

فعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٠٢) وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

النبي ﷺ فقالت: إني أُصرع وإني أتكشف فادع الله لي قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر. ثم قالت: إني أتكشف فادعُ الله لي، فدعا لها[1].

سبحان الله... انظر أخي الكريم- إنها امرأة (تُصْرَعُ) يعني: يُصيبها الصرع وهي: علةٌ في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة في العضلات وقد يكون السبب في هذا هو احتباس الريح في منافذ الدماغ، وقد يكون بسبب إيذاء الكفرة من الجن، ورغم كل هذا إلا أنها تستحي أن تظهَر عورتها وهي لا تشعر...

إن هذه المرأة ومثيلاتها تعد قدوة لنساء هذا العصر فهي امرأة ضعيفة مريضة وعلى الرغم من مرضهاوعذرها سعت واجتهدت في ستر نفسها، بينما أكثر نساء عصرنا يجتهدن في كشف عوراتهن بلا عذر... **فأي الفريقين أهدى؟!!**

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أم سلمة تقطع الحجة

هل أتاك نبأ أم سلمة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ عندما سمعته يقول: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**» فقالت: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟! قال: «**يرخين شبرا**» قال: إذًا تنكشف أقدامهن.. قال: «**فيرخينه ذراعًا ولا يزدن**».

فله درك يا أم المؤمنين

حياء بعد الموت

بل انظر إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ.. كانت دائمة الستر والعفاف فلما حضرها الموت تفكرت في حالها، وقد وضعت جثتها على النعش، وألقي عليها الكفن فالتفتت إلى أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر، وقالت.. يا أسماء.. إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه ليطرح على جسد المرأة الثوب (الكفن) فيصف حجم أعضاءها لكل من رأى..

فيا سبحان الله هذا حرص فاطمة على الستر والعفاف وهي جثة هامدة.. فكيف بها في حال حياتها؟!

أتدري -أخي القارئ- كم كانت للعفة نماذج وأمثال سطرها لنا التاريخ وساقتها لنا السير.. فهل تسعى -عبد الله- لتدون اسمك بقائمة هؤلاء الكرام.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثاني عشر

الحياءُ أصل لكل خير

عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله»[1].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير» فقال بشير بن كعب: «مكتوب في الحكمة أن منه وقارًا ومنه سكينة»، فقال عِمْرانُ: «أُحدثك عن رسول الله ﷺ وتُحدثني عن صحفك»[2][3].

(١) مختصر مسلم (٣) والألباني في صحيح الجامع (٣١٩٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) وهنا مسألة (كيف يكون الحياء خيرًا كله ولا يأتي إلا بخير؟!)

ويجيب على هذه المسألة القاضي عياض فيقول: أما كون الحياء خيرًا كله ولا يأتي إلا بخير، فقد يُشكل على بعض الناس من حيث:

قال الحافظ ابن حجر: «وهذه الزيادة متعينة (أي قول: بشير بن كعب) ولأجلها غَضِبَ عمران «وقال في الكواكب: وإنما غَضِبَ لأن الحجة في سنة رسول الله ﷺ لا فيما يُروى عن كتب الحكمة لأنه لا يُدرى ما في حقيقتها ولا يعرف صدقها»[1].

وقال ابن شهاب: «دعوا السنة تمضي، ولا تعرضوا لها بالرأي».

قال الماوردي: (اعلم أن الخير والشر معانٍ كامنة تُعرف

أ- إن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يُجِلُّه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

ب- وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة.

والجواب:

أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة.

أن تسميته بالحياء من باب إطلاق بعض أهل العرف حيث أطلقوه مجازًا لمشابهته الحياء الحقيقي.

(١) أنصح إخواننا طلبة العلم ألا يضيعوا زهرة أعمارهم وأوقاتهم في مطالعة كتب الفلاسفة الملاحدة فإنه من طلب دينه بالقياس لم يزل عمره في التباس، ومن شاء فليراجع كتب العلماء مثل «ذم الكلام وأهله» للإمام الهروي، وغيره.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بسمات دالة، فسمة الخير: الدعة والحياء. وسمة الشر: القحة والبذاء. «وكفى بالحياء شرفًا أن يكون على الخير دليلًا، وكفى بالقحة والبذاء شرًّا أن يكونا إلى الشرِّ سبيلًا»[1].

وقال ابن القيم: «وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا بل هو خاصته الإنسانية فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها الظاهرة كما أنه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخلق لم يُقَرَ الضيف ولم يُوفَ بالوعد ولم تُؤدَّ أمانة ولم تُقضَ لأحد حاجة، ولا تتبع الرجلُ الجميلَ فآثره والقبيح فتجنبه، ولا ستر له عورة ولا امتنع عن فاحشة، وكثير من الناس لولا الحياء لم يُؤدِّ شيئًا من الأمور المفترضة عليه ولم يَرعَ لمخلوقٍ حقًّا، ولم يصلْ له رحمًا، ولا بَرَّ له والدًا.

فإنَّ الباعث على هذه الأفعال: إما ديني: وهو رجاء عاقبتها الحميدة، وإما **دنيوي علوي**: وهو حياء فاعلها من الخلق، وقد تبين أنه لولا الحياء إما من الخالق أو من الخلائق لم

(١) راجع أدب الدنيا والدين للماوردي ص٢٤٠.

يفعلها صاحبها»[1].

فالحياء خيرٌ عظيمٌ، فالرجل الحييُّ يتخوف على مكارمه ومحامده أن يضيع بهاؤها وينطفئ سناؤها، والرجل الفاضل الحييُّ فيه من أمارات الشجاعة ما لا يتوفر في غيره ،فالرجل الحييُّ يجود بإراقة دمه على إراقة ماء وجهه، ويكفي الحياء فخرًا كونه على الخير دليلًا، إذ مبدأ الحياء انكسار وانقباض يلحق الإنسان مخافة نسبته إلى القبيح ونهايته ترك القبيح وكلاهما خير، كذلك فإن الحياء يُعدُّ سببًا من أسباب اكتساب العدد العريض من الخصال والسمات كالإيمان والاستقامة والعفة وغض البصر وحفظ الفرج ودوام المراقبة.. كما سيأتي إن شاء الله[2].

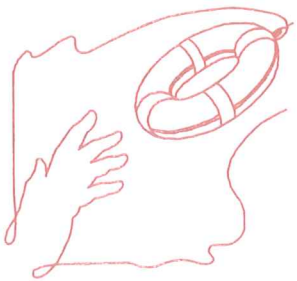

(١) مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم ص٢٧٧.

(٢) الحياء خلق الإسلام ص٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثالث عشر

لأننا نعيش في مجتمع مسلم له قيمه وأخلاقه

المجتمعات بما لها من أعراف وتقاليد لها دور بارز في تنمية هذه الفضيلة، ذلك لأن الأعراف والأخلاقيات الموجودة في مجتمع ما ظواهر اجتماعية، لها -كما يقول علماء الاجتماع- صفة القهر والإلزام، والعموم والانتشار..

والفرد في أي مجتمع من المجتمعات يجد نفسه ملزمًا باحترام أعرافه، والحفاظ على تقاليده حتى إنه يخشى الخروج عليها، ويغالبه الحياء إذا واجه مجتمعه بما يخالف ما تعارف عليه أفراده..

وإذا كانت قيم المجتمع وأعرافه نسبية، تصبغها أهواء البشر ونزواتهم فإن المجتمع المسلم تحكمه أخلاقياته الشرعية

المحمدية، وهذه الأخلاقيات بمثابة الثوابت التي لا تختلف باختلاف الجنس او اللون، أو الثقافة، وهي تقوم على احترام الإنسان والاعتداد بمكانته التي أولاه الله إياها، وبهذا يصبح المجتمع بقيمه العالية الرفيعة في ظل الإسلام حارسًا للقيم، يحمي الفضائل، ويتصدى للانحرافات مما يُسهم في غرس بذور الحياء في ضمائر الأفراد.

إذن نخلص من ذلك أن المجتمع الفاضل يجعل لفضيلة الحياء رسوخًا وشموخًا كما يجعل لها سلطانًا أي سلطان، وإذا افتقد المجتمع هذه القدرة بتخلف المعالم الإسلامية فيه، يضعف الحياء، ويغيب الانتماء وتشيع اللامبالاة.

إذن للمجتمع دور هام جدًّا في دعم هذه الفضيلة، بحيث يكون مصدر عطاء لها..

ولا يكون ذلك إلا في ظل الالتزام الإسلامي حين تكون قيم الإسلام وفضائله ظواهر تفرض نفسها على سلوك الأفراد، وطموحات المجتمع، وينأى عن كل ما فيه إخلال بإنسانية الإنسان وكرامته..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرابع عشر

نتحلى بالحياء لندعم به سائر علاقاتنا الإنسانية

من أجمل معالم السمو في ديننا الحق أنه يرعى الحقوق، ويحافظ على هذه العلاقات على اختلاف صورها وأشكالها، فهو دين البر الذي يُقيم المجتمع المسلم الواحد، ويؤكد على الحقوق بقدر ما يُطالب بالواجبات، وهذا الأمر يجعل أطراف العلاقات على حياء جم بحيث يستحي كل طرف من أن يُقصر في واجب، أو يُطالب بأكثر مما له من حقٍّ، أويعيش في مجتمع عام لا يألف، ولا يؤلف.

وإذا لم تؤثر فيه هذه العلاقات فاستهان بحرمتها، ولم تنجح في دعم فضيلة الحياء عنده أصبح خليعًا لا يُقام له بين الناس وزن.

ولقد كان العرب قبل الإسلام لهم أعراف تحرص عليها القبيلة فإذا فقد فرد منهم حياءه، وخرج على هذه الأعراف نبذته القبيلة، وسمي «خليعًا» ولعلك تجد هذا المصطلح كثيرًا عند استقراء كتب التراث التي تتحدث عن حياة العرب قبل الإسلام..

وهذه العلاقات أتصورها فيما يلي[1]:

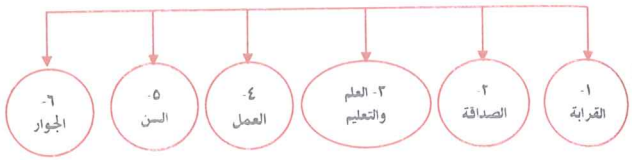

ولكل منها حديث يبين حقيقة هذه العلاقة من المنظور الإسلامي، بحيث يكشف عن دورها في دعم هذه الفضيلة:

١ - **القرابة**: صلة القرابة هي صلة الدم، وهي ذات شأن رفيع في الإسلام، ورعاية حقوقها مطلب إسلامي عظيم القدر...

(١) استفدت هذه الفكرة من بحث بعنوان «الحياء سمة الحضارة الإسلامية» للأستاذ الدكتور السيد رزق الطويل رحمه الله من ص٥١-٧٠ بتصرف واختصار. ولقد طبعته وزارة الأوقاف في سلسلتها الشهيرة العدد ٣٠ لسنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لهذا أولى الإسلام صلة الرحم عناية تامة، ورتب على ذلك حقوقًا كثيرة، وحثَّ على رعايتها أتم رعاية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[الإسراء: ٢٦].

وأقرب الأقرباء الوالدان، وحقوقهما بالغة.. قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء: ٢٣].

ومن هنا صارت القرابة في مظلة الدين باعثًا على الحياء في كل سلوكية يأتيها المسلم مع ذي قرابته على اختلاف درجات القرابة..

رغم أن الإنسان بتكريم الله له يأنف من المذلة ويستحي أن يراه غيره على هوان مع أي إنسان كائنًا من كان، لكنه في منظور الإسلام، وبمنطق الحياء يذل -وهو يشعر بعزة بالغة- لوالديه، وفي هذا يقول رب العالمين: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[الإسراء: ٢٤].

كذلك فالحياء سبيل أكيد للحفاظ على العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، وهو كذلك سبيل لترابط ذوي القربى

بعضهم ببعض..

حيث يستحي الأولاد من عقوق الوالدين حتى لا تهوي مكانتهم في دين الله إلى الدرك الأسفل، ويكونون بعقوقهم جاحدين للنعمة منحرفين عن الجادة.

كذلك يستحي القريب -بباعث الإيمان مع باعث القرابة- أن يرى قريبه في عسرة ولا يأخذ بيده، أو يراه في محنة ولا يشاركه، وفي مسرة ولا يشاطره، كما يستحي أن يبغي عليه أو يظلمه، لأن بغي ذوي القرابة مرير، وصفه الشاعر العربي فقال:

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً
عَلَى النَّفْسِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

ويستحي الأوصياء من الجور على اليتامى من ذوي قرباهم، والذين فقدوا آباؤهم، واستحفظوا على أموالهم..

إذن فضيلة الحياء تُعزز خلق التواصل بين الآباء والأبناء، والأقرباء بعضهم مع بعض، وبصورة أشمل بين أفراد المجتمع المسلم كله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- **الصداقة**: وهي من البواعث القوية لخلق الإسلام الحياء، لأن الصداقة علاقة بين اثنين نشأت من حرص كل منهما على أن يصدق الآخر، ولا يغشه وأن يشاركه آلامه ومسراته.

وإذا قويت الصداقة صارت خُلةً أي درجة تصل فيها محبة كل منهما لصاحبه إلى مستوى التغلغل في شغاف القلب...

ولا شك أن الصداقة من لوازم الحياة البشرية على الأرض، لأن الإنسان -كما يقول علماء الاجتماع- مدني بطبعه[1] ولكن هذه العلاقة تعلو وتتسامى إذا عززتها العقيدة ورابطة الإيمان..

وعلى أي صورة كانت فإنها ستكون في مجالها باعثًا قويًّا على الحياء في العلاقة بين الأصدقاء، لأن كلًا منهم خَبَرَ الآخر فلا يجد مسوِّغًا لتكذيبه، أو النيل منه، أو الإساءة إليه.

(١) وما أراهم في هذه القضية إلا منتفعين أو مسبوقين بقوله سبحانه: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا} [الحجرات: ١٣].

أمثلة للصداقة المبنية على أساس الحياء:

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك **الصِّدِّيق الأكبر.. أبو بكر رضي الله عنه**: الذي لما علم أنه صديقه محمد بن عبد الله أوحي إليه، وصار نبيًا، وقد كلف بالدعوة إلى ربه، سارع إلى الإيمان به، دون تردد، أو تلعثم، حياء منه أن يبدي ارتيابًا في الصادق المصدوق ﷺ إذ عهده به ﷺ أنه لم يكذب قط.

والموقف نفسه اتخذه عندما أخبره صديقه النبي بالإسراء، فقال: إني لأصدقك ولو قلت عرج بي إلى السماء، ولم يكن قد أخبر بالمعراج بعد...

وكان إذا سأله أي أحد مستنكرًا هذا الأمر المعجز يرد عليه بكل ثبات وقوة قائلًا: «إن كان قال فقد صدق».

وأسلم على يديه رضي الله عنه عدد من أشراف قريش كأمثال: عثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وآخرون، فكان إسلامهم حياء منهم أن يواجهوا أبا بكر بشكٍّ في صاحبه وهم يعلمون حكمة الرجل، وحنكته حتى قال قائلهم: إن دينًا يؤمن به مثل أبي بكر لهو خير الأديان!!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- **العلم والمعلم**: في عملية التعليم توجد رابطة وثيقة العرى بين المعلم والمتعلم، وللعلماء مكانتهم السامية في سائر المجتمعات، إلا أن الإسلام عزز هذه الروابط بما منحها قدرًا كبيرًا من الالتزام الأخلاقي وجعلها باعثًا قويًّا من بواعث الحياء.

فالمعلم في مكانته قدوة، رفيع المكانة، والمتعلمون تعقد أعينهم به، ومن كان أهلًا لمكانته وللقدوة به يستحي تلامذته أن يرفعوا أصواتهم على صوته، وأن يتقدموا بعمل بين يديه - حياء منه-..

وحياء المتعلم من المعلم: يدفعه إلى أن يوسع له في المجلس، أو يؤثره بمكانه، وأن يتجمل له في أثناء مخاطبته، وعند الحديث إليه...

وبقدر ما يعرف المتعلم حق معلمه يستحي من سوء الأدب معه، ويستحي من عصيانه، ويستحي من الإساءة إليه، ويعمل على مرضاته بقدر ما يمنحه معلمه من علمه، ويفيده

من خبرته وتجربته، ويودعه كنوز معرفته[(١)].

٤- **العمل**: وهو واحد من العلاقات الإنسانية التي يمكن أن تكون باعثًا قويًّا من بواعث الحياء، ذلك لأن العمل من أعظم القيم في هذه الدنيا، وهو قدر الإنسان فيها، بل هو قدر كل كائن حي، إذ يسعى دائبًا لتحصيل رزقه وأداء رسالته في الحياة، أما الإنسان فيقول فيه رب العالمين: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾[البلد: ٤]، كما يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝ ﴾[الانشقاق: ٦].

والعمل هو طريق السعادة في الدنيا والآخرة.. إذ يقول سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف: ٧٢].

ومن هنا يتبدى لنا أن دواعي العمل في حياة البشر متنوعة، منها دوافع حيوية فطرية أو دوافع حضارية، وثمت ما هو أكبر وأعظم -أعني دوافع دينية وإيمانية-.

(١) ومن أراد التوسع في معرفة «سمات طالب العلم» فليراجع «حلية طالب العلم» للعلامة (بكر أبو زيد) رحمه الله تعالى، تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتتعاون هذه الدواعي لتجعل من قيمة العمل مصدرًا خصبًا للحياء...

فالإنسان المسلم يستحي من البطالة.. لأن دليل حياته وحيويته هو العمل، ويشتد حياؤه عندما يرى دأب النمل، وجهاد النحلة وقدرتها الإبداعية في الإنتاج وفي العمل والنظام..

ويستحي من العاملين حوله أن يكون عالة عليهم، أو متخاذلًا عنهم، لا يجد ما يجدون على الرغم من تساويهم في الإمكانات.

ويستحي من رئيسه في العمل إذا ضَيَّع أو قَصَّرَ.

كما يستحي الرئيس من المرءوسين إذا افتقدوا فيه القدرة التي تُحتذى وتُتبع.

وإذا امتلك الدين الحق يستحي من الله الذي خلقه من الأرض واستعمره فيها أن يتقاعس عن مهمته في أن يزرع الخير في أرض الله، ويقيم عليها صروحًا شامخة من الحق والعدل..

ويستحي من النبي الكريم أن تكون حياته حافلة بالأعمال المجيدة، ثم تكون حياتنا خمولًا وكسلًا...

٥- **السن**: من المعلوم أنه في ظل الفترة السليمة يكون السن باعثًا قويًّا على التحلي بالحياء..

فالصغير -بفطرته السليمة المستقيمة- يستحي من الكبير حتى من مجرد رفع الصوت عليه فضلًا عن أن يرتكب أمامه خطيئة بالقول أو بالفعل..

فإذا نظرنا إلى السبب في ذلك وجدنا أن خلق الحياء قد استحكم من هؤلاء حتى صار حكمًا في كل هذه السلوكيات...

وفي ظل الإسلام يتنامى أثر هذا الباعث..

فتوقير الصغير للكبير مطلب إسلامي كما أن رحمة الكبار للصغار حياء من تسلط السن،و قيمة إسلامية تربوية، تُشيع الرفق والمودة في المجتمع..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخيرًا: الجوار

وهو مظهر آخر من مظاهر العلاقات الإنسانية وبالتالي هو باعث قوي على الحياء، لأن الجوار رابطة مادية يستتبعها معنى إنساني بعيد المدى، يترتب عليه حقوق متبادلة بين الجارين، يُعابُ أحدهما إذا قَصَّرَ في هذا الحق لصاحبه، وبالتالي فالإنسان السوي يداخله حياء كبير أن يقصر في حق جاره فضلًا عن أن يسيء إليه.

وفي ظل الإسلام يعظم شأن هذا الباعث، ويقوى تأثيره إذ شدد الإسلام على في التوصية بالجار، كما حذر تحذيرًا شديدًا من الإساءة إليه..

لهذا ترى الإنسان السوي يسمو بسلوكه (الذي يحميه الحياء، ويستبقه الحب والمودة) عن إيذاء جيرانه، بينما من في قلبه ضلالة لا يتورع عن أذى جاره إذا كانت بينه وبينه ضغينة، أوخلاف في الرأي..

فنسأل الله أن يرزقنا الحياء، وأن يجعله سمة ملازمة لنا حتى نلقاه...

الخامس عشر

نتحلى بالحياء لأنه صفةٌ حضارية

تبدو قيمة الحياء باعتباره وسيلة حضارية تبني التقدم الأخلاقي، والسمو السلوكي، كما تؤكد إنسانية الإنسان وأفضليته على الكائنات التي تشاركه الحياة على الأرض..

وإذا كان للحياء هذه القيمة من هذا الجانب فإنه عندما يكون فضيلة إسلامية ويحتل مكانة أعلى من سلم الخلق الإسلامي فسنراه صاحب دور بارز في بناء حضارة الأمة الإسلامية، الأمر الذي جعل لها تميُّزًا بين الحضارات الإنسانية الأخرى التي كان لها دور مؤثر في حياة الإنسان على الأرض إيجابًا أو سلبًا.

ولعل السبب في ذلك: أن الحياء -في ظل الإسلام- يقيم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حاجزًا معنويًا له اعتباره، وتأثيره في الحيلولة بين الإنسان وبين سلوكيات تخدش العرض، أو تسيء إلى الغير، أو النطق لكلمات تستهجن وتستقبح، وتخل بكرامة الإنسان..

ولما كانت الحضارة عملًا وبناءً، وسعيًا لاكتشاف سنن الكون، كذلك فهي علم ومعرفة...

ولما كانت الحضارة توظيفًا لقدرات الإنسان من أجل عمران الحياة..

كذلك فهي دعم للعلاقات البشرية في حدود الشرع المحكم.

إذا كانت تلكم الأمور مظاهر حضارية؛ فإن فضيلة الحياء لا تنفك عنها بحال من الأحوال.

فمثلًا: الإنسان المسلم السوي يستحي من الجهل الذي ينتقص قدره..

ويستحي من العجز عندما تقصر قدراته أو تتلاشى فلا يُسهم في بناء الحياة، وهكذا..

إذن الحضارة الراشدة لا تنفصل عن الحياء..

حقيقة الحياء

قال القاضي عياض: (وأما الحياء والإغضاء.. فالحياء رقةٌ تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهيته أو ما يكون تركه خيرًا من فعله، والإغضاء: التغافل عما يكرهه الإنسان بطبيعته..)[1].

وقال الحليمي:

ويشبه أن تكون حقيقة الحياء خوف الذم والتوقي من الاستنكار من الناس فهي على وجهين:

أحدهما: أن يخاف ذم الجيران إياه فلا يفارق المسجد ليحمدوه ويُثنوا عليه خيرًا، فهذا رياءٌ وليس بمحمود.

والآخر: أن يكون حياؤه من الله عز وجل بالحقيقة

(١) شرح الشفا للقاضي عياض (٢/ ٧٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيخشى أنه إن فارق الجماعة كان عاجل عقوبة الله إياه أن يبسط المسلمون فيه ألسنتهم بالذم، وإن كان معها كان من عاجل ما يُثيبه الله تعالى به أن يُطلق المسلمون ألسنتهم فيه بالمدح، فيكون خوفه ذم الناس وحبه مدحهم متعلقًا بالله عز وجل لا بغيره، فهذا محمود..

ويستحي الولد من الوالد والمرأة من زوجها والجاهل من العالم والصغير من الكبير والواحد من الجماعة، فيريد الأدون أن يعمل على غير الأكمل عملًا من حقوق الناس يحق مثله للأكمل، فيخاف أن يقع منه على وجه يذمه فيدعه، فذاك استحياؤه وهذا أيضًا محمود لأن فيه مراعاة الناقص حق الكامل وإذعانه لهم لأجل الفضل الذي يعلمه لهم على نفسه[1].

كذلك يشبه أن تكون حقيقة الحياء خوف الذم والتوقي من الاستنكار وقالة السوء لأن من استحى فإنما يترك لأجل استحيائه ما يوجب فعله ذمًّا، إذ يرى أنه يجلب إليه سوءًا، كأن

(١) شعب الإيمان (٦/ ١٤٥).

الذم يُقبح الفعل نفسه ولمخالفته عادة الناس في مثله أو لأن المتوقع من فاعله كان خلافه، فاما خوف العقوبة في البدن دون ثلب العرض فلا يُسمى حياءً، وإنما يسمى خضوعًا واستسلامًا[1].

ثم قال رحمه الله: فإذا أيقنت أن حقيقة الحياء خوف الذم بنسبة الشر إليه، إن كان في محرم فهو واجب، وأن كان في مكروه فهو مندوب، وإن كان في مباح فهو العرفي وهو المراد بقوله (الحياء لا يأتي إلا بخير).

وقال المالكي: «إنما كان الحياء وهو الأكبر من غريزة الإيمان، لأن الحياء يمنع من المعصية كما يمنع الإيمان منها لذا قال مالك بن دينار: «ما عاقب الله تعالى قلبًا بأشد من أن يسلب منه الحياء».

فالحياء يمنعك -عبد الله- من التفريط في حق صاحب الحق، وقد اختص الله عز وجل به الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه الشهوة من القبائح كي لا يكون كالبهيمة التي تهجم على

(١) المصدر السابق (٥/ ١٤١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما تشتهي دون حياء ومن ثَمَّ قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «الحياء أخف التقوى، ولا يخاف العبد حتى يستحي، وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء؟!»[1].

فصاحب الحياء يدفعه الحياء إلى اجتناب ما حَرّم الله ورسوله.

قال ابن القيم طيب الله ثراه: «ومن المعلوم أن للإنسان آمرين، وزاجرين، آمر وزاجر من جهة الحياء: فإذا أطاعه امتنع عن فعل كل ما يشتهي، وله آمر وزاجر من جهة الهوى والطبيعة فمن لم يطع آمر الحياء والزواجر أطاع آمر الهوى والشهوة ولا بد»[2].

(١) الحياء خلق الإسلام ص٨.

(٢) مفتاح دار السعادة ص٢٧٧.

مظاهر الحياء وأقسامه

قال المناوي -رحمه الله: الحياء نوعان[1]:

١- نفساني: وهو المخلوق في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة أو الجماع بين الناس[2].

٢- إيماني: وهو أن يمتنع المسلم من فعل المحرم خوفًا من الله.

(١) راجع التوقيف على مهمات التعاريف للأستاذ عبد الرؤوف المناوي ص١٥٠، ط. دار الفكر.

(٢) ومن أبرز الأمثلة على الحياء الجبلي الفطري.. حياء آدم وحواء عليهما السلام حين سارعا إلى ستر عوراتهما بأوراق الشجر بمجرد أن نبدت لهما سوءاتهما {فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة} [طه: ١٢١].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقسام الحياء

قسَّم أبو حاتم محمد بن حبان البستي الحياء إلى نوعين وهما:

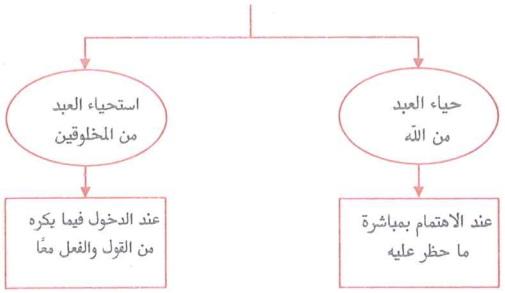

ثم قال: والحياءان جميعًا محمودان إلا أن أحدهما فرض، والآخر فضل، فلزوم الحياء عند مجانبة ما نهى الله عنه فرض، ولزوم الحياء عند مقارفة ما كره الناس فضل[1].

وقَسَّم ابن رجب الحياء إلى نوعين هما:

١- الحياء الفطري أو الجبلي: وهو ما كان خُلقًا وجبلة غير مكتسبة يرفع ما يتصف به (أي ما يتصف به من هذه الصفات) إلى أجل الأخلاق التي يمنحها الله لعبد من عباده ويفطره عليها، والمفطور إلى الحياء: يكف عن ارتكاب المعاصي والقبائح ودنيء الأخلاق، ولذلك كان الحياء مصدرًا للخير وشعبة من شعب الإيمان.

٢- الحياء المكتسب: وهو ما كان مكتسبًا من معرفة الله ومعرفة عظمته وهذا لا يكون إلا بمراقبة الله تعالى -والتي هي علم العبد بقرب الرب بكل أحواله وأسراره فهو سبحانه-، مع يقين العبد أن الله تعالى عليم يعلم خائنة الأعين

(١) راجع روضة الفضلاء للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البستي ص٦٠، ط. مكتبة أبي حفص للطباعة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما تُخفي الصدور، والمسلم الذي يسعى في كسب وتحصيل هذا الحياء إنما يُحقق في نفسه أعلى خصال الإيمان وأعلى درجات الإحسان ومن أعلى درجات الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك [1][2].

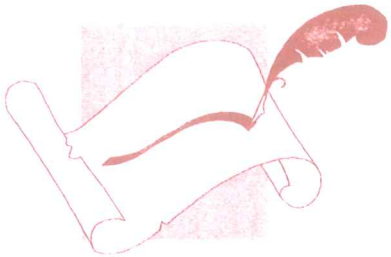

(١) انظر شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري لابن رجب ص١٠٨ ط.دار الحرمين، وراجع كلامه في كتابه (جامع العلوم والحكم ص١٩٠).

(٢) فائدة: قال القرطبي رحمه الله: الحياء المكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان، وهو المكلف به دون الغريزي، غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب، وقد ينطبع بالمكتسب حتى يصير غريزيًا، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جُمع له النوعان، فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان في الحياء المكتسب في الذروة العليا.. اهـ. راجع فتح الباري (١٠/ ٥٢٢).

وقسم الإمام ابن القيم الحياء إلى عشرة أقسام كما هو موضح بالشكل [1]:

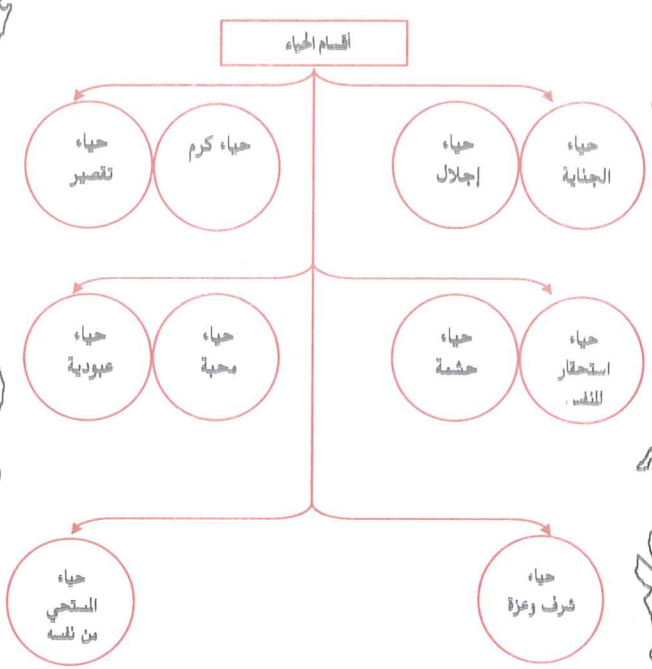

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مظاهر حياء العبد المؤمن

تقوى الله في السر والعلن، واختلاس الأوقات في فعل الخيرات، واجتناب المكروهات والمحرمات، والحرص كل الحرص على الاجتهاد والتشمير في الطاعات لتحصيل رضوان رب السماوات.

والتحلي بخلق الحياء هو الذي دفع سلفنا الصالح إلى الخوف والرهبة من الرب تعالى، والرغبة و الرجاء في رحمته سبحانه شعارهم في ذلك قول الإمام المبجل أحمد بن حنبل: «الخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين للطائر فلا يطير إلا بهما»[1].

(١) المسلم السني يعبد الله تعالى بالحب والخوف والرجاء، ولا يقتصر في طريق العبودية لرب البرية على الخوف وحده كما فعل الخوارج، كذلك فهو لا يُغلِّب

أنواع الحياء

وذكر الماوردي تقسيمًا آخر للحياء باعتبار من يُستحيا منه فقال[1]:

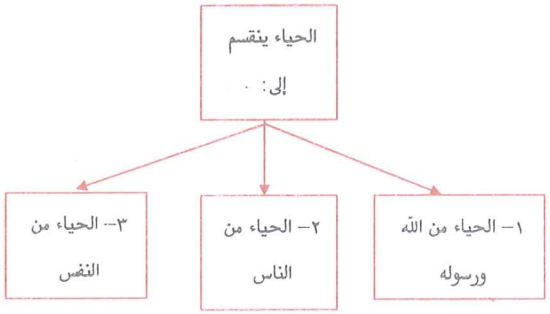

جانب الرجاء على غيره كما تقول المرجئة، ولا يعبد الله تعالى بالحب وحده كـ يفعل الزنادقة...

(١) كتاب أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي، ص٢٤٢، ط.مكتبة الإيمان بالمنصورة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد سبق الماوردي في ذلك الراغب الأصفهاني رحمه الله حيث ذكر أن الذي يستحي منه الإنسان ثلاثة: البشر، وهو أكثر ما يستحي منه الإنسان، ثم نفسه، ثم الله عز وجل[1].

(١) قلت: وهناك وجه آخر للحياء، وهو الحياء من الملائكة، فاحتمل بذلك أربعة أوجه:

الأول: الحياء من الله.

والثاني: من الملائكة.

والثالث: الحياء من الناس.

والرابع: الحياء من النفس.

أولاً:

الحياء من الله ورسوله ﷺ

إن من محض فضل الله على العبد أن أوجده من العدم، وأسبغ عليه وافر النعم وخلق له ما في الأرض جميعًا، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، فأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

كذلك فمن عظيم رحمة الله تعالى على عبده أن يوفقه لاستغلال هذه النعم، ويهديه لعبادته، ليكون من عباده الخلَّص الذين يحبون ربهم، ويأنسون بخالقهم، ويشتاقون إلى مولاهم.

فإذا كان الأمر كذلك.. فإنه لحقيق أن نستحي من ربنا حق الحياء..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكيف لا نستحي من ربنا؟!

ونحن نطعم من خيره، ونتنفس من جوه، وندرج على أرضه، ونستظل بسمائه،أليس من الفطري أن نحسن إلى من أحسن إلينا؟ ألا ترى أخي القارئ أن الإنسان بإزاء النعمة من مثله، يخزى أن يُقدم إلى صاحبها إساءة؟ فكيف لا يوجل الناس من الإساءة إلى ربهم، الذي تغمرهم آلاؤه من المهد إلى اللحد وإلى ما بعد ذلك من خلود طويل؟!

كيف لا يستحي الناس من ربهم الذي أنعم عليهم بسائر النعم، فكل نعمة يتمتعون بها فهي محض فضل الله تعالى عليهم، ومزيد كرمه.

إن حق الله على عباده عظيم، ولو قدروه حق قدره

لسارعوا إلى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم، ولباعدوا عن السيئات خجلًا من مقابلة الخير المحض بالجحود والخسة[1].

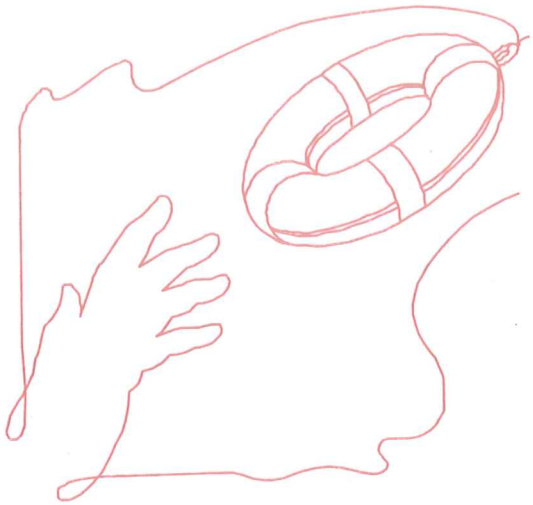

(١) نقلاً عن كتاب «خلق المسلم» للشيخ محمد الغزالي غفر الله لنا وله، ص١٧٥، ١٧٦، ط.دار الريان.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مما يُوَلِّدُ الحياء من الربِّ تبارك وتعالى

يتولد الحياء من الله تعالى من مشاهدة نعمه وآلائه المتتابعة، ورؤية التقصير عن أداء شكرها، مع حب الله سبحانه وتعالى وتعظيمه..

وهذا أمر بديهي... فإذا كان الإنسان يخزى من الإساءة إلى من أحسن إليه من البشر، ويستحي ممن أسدى إليه معروفًا أن يقابله بالنُّكر، فكيف لا يستحي الإنسان من ربه واهب النعم التي لا تحصى؟!

يؤكد على هذا الإمام النووي رحمه الله فيقول: روينا عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله قال: الحياء: رؤية الآلاء -أي النعم- ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى حياء. اهـ[1].

(١) شرح صحيح الإمام مسلم (٢/ ٥).

وقال ابن حجر رحمه الله: وقد يتولد الحياء من الله سبحانه من التقلب في نعمه، فيستحي العاقل أن يستعين بها على معصيته[1].

وقال محمد بن الفضل: الحياء يتولد من النظر إلى إحسان المحسن، ثم من النظر إلى جفائك إلى المحسن، فإذا كنت كذلك رزقت الحياء إن شاء الله[2].

وقال ذو النون: اعلموا أن الذي أهاج الحياء من الله عز وجل معرفتهم بإحسان الله إليهم، وعلمهم بتضييع ما افترض الله عليهم من شكره، وليس لشكره نهاية، كما ليس لعظمته نهاية[3].

بينما ذهب أبو الفدا إسماعيل الهروي في «منازل السائرين» إلى أن الحياء من أول مدارج أهل الخصوص يتولد من تعظيم منوطٍ بود[4].

(١) راجع الفتح (١٠/ ٧٥).
(٢) شعب الإيمان للإمام البيهقي (٧٧٤٤).
(٣) راجع شعب الإيمان (٧٧٤٢).
(٤) انظر المدارج (٢/ ٢٧٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمراد: أن الحياء حالة حاصلة من امتزاج التعظيم بالمودة، فإذا اقترنا، تولد بينهما الحياء، فالحياء على الحقيقة: إنما هو حياء المحبين[1].

وحتى لا تختلط عليك الأمور، أحب أن أُبين أنه لا تنافي بين هذه الأقوال، لأن للحياء عدة أسباب، وكلٌ أشار إلى بعضها[2].

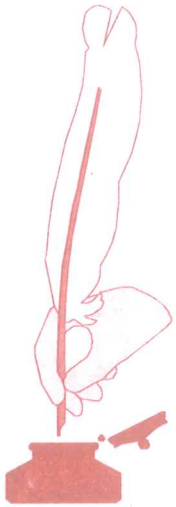

(١) المصدر السابق.

(٢) المدارج (٢/ ٢٧٥).

حق الحياء من الله تعالى

سبقت الإشارة إلى أن أرفع درجات الحياء وأعلاها منزلةً الحياء من الله -عز وجل- الذي أغدق النعم على الإنسان فلا يملك لها إحصاءً، ويعلم ذات نفسه، وخلجات صدره، إذ هو القائل سبحانه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

ويتضح حق الحياء من الرب العلي الأعلى في حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء»، قال: قلنا: يا رسول الله: إنا نستحي والحمد لله، «قال: ليس ذاكم، ولكن من استحيا من الله حق الحياء: فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استحيا من الله حق الحياء»[1].

وهذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، ومن أبلغ وصاياه، إذ هو يبين حقيقة هذا الأمر الجلل العظيم..

إذ الحياء: اسم جامع يدخل فيه الاستحياء من الله تعالى لأن ذمه فوق كل ذم، ومدحه فوق كل مدح، فالمذموم بالحقيقة من ذمّه ربه، والممدوح من مدحه ربه[2].

(١) رواه أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذي (٢٥٨٨)، وقال: حديث غريب، والحاكم (٧٩١٥)، وقال: صحيح وأقره الذهبي، وله شواهد يتقوى بها، وحسنه الألباني في الروض (٦٠١)، والمشكاة (١٦٠٨).

(٢) راجع شعب الإيمان للإمام البيهقي (٦/ ١٤١)، ط. المطبعة الهندية.

وقفات.. وتنبيهات

الناظر للحديث السابق يجد أن كثيرًا من المعاني قد أُجملت فيه إجمالًا، لهذا قال بعض أهل العلم: يُستحب لكل أحدٍ صحيح أو مريض الإكثار من ذكر هذا الحديث، بحيث يصير نُصب عينيه[1].

ولعلنا إذا تأملنا في معاني هذا الحديث نصل إلى المقصود:

فمثلاً يدخل في «حفظ الرأس وما وعى» حفظ السمع والبصر واللسان عن المحرمات والفضول، مع الإتيان بالطاعات اللازمة له، فالحياء يدفع صاحبه إلى أن يستخدم جوارحه كلها في طاعة الله سبحانه، ويمنعه من أن يصرفها إلى

(١) انظر فقه الحياء ص٩٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معصية الله جل وعلا.

ويدخل فيه أيضًا حفظ الفكر عن المعصية وستر عوراته، فإن للفكر عورات كما أن للجسم عورات، وكما يجب ستر عورات الجسم فإنه يجب ستر عورات الفكر، وعورات الفكر تكون باتباع خطوات الشيطان، ومراودة الخواطر على المعاصي، التفكير في المنكرات سواء كانت هذه المنكرات شهوانية أو عقلانية.

لهذا فإن الحياء يحفظ صاحبه من الطيش والسفه، ويعصمه من الأفكار الضالة، والنزعات الفاسدة..

قال البيضاوي رحمه الله: «ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه، بل أن يحفظ جوارحه عما لا يرضاه ربه من فعل وقول»[1].

ويدخل في «حفظ البطن وما حوى» حفظه عن أكل الحرام أو شرب الحرام، سواء أكان حرامًا في ذاته، كالخنزير والخمر

(١) راجع الفتح الرباني (١٩/ ٩٠) نقلاً عن فقه الحياء للشيخ محمد بن إسماعيل، ص٩٦.

وما شابه ذلك، أو كان من مال حرام، كذلك يدخل فيه أيضًا: حفظ الفرج من الزنا.

والمقصود: أن يحفظ المرء ظاهره وباطنه من الحرام، فإن على المسلم تنزيه لسانه عن الخوض في الباطل، كذلك فليحفظ بصره أن يرمق عورة أو ينظر شهوة، كذلك فيلزمه حفظ سمعه أن يسترق سرًّا أو يستكشف خبئًا.

وبالجملة.. فعلى المسلم أن يفطم نفسه عن الحرام، ويقنعها بالطيب الميسور.

كذلك فالواجب على المسلم السالك إلى ربه أن يصرف أوقاته في مرضاة الله وإيثار[1] ما لديه من ثواب فلا تستخفه نزوات العيش ومتعه الخادعة ، بل عليه أن يُديم ذكر الموت، لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية، وأعضاءه متمزقة، هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة وعمل على إجلال الله وتعظيمه.

(١) راجع خلق المسلم ص١٧١، ورسالة الحياء خلق المسلم، ص٤٩، ٥٠، إعداد إدارة الدعوة بقطر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذلك فعلى العبد المستحي من ربه أن يجعل من دنياه مزرعة لأخراه، وأن يحذر زخارف الحياة الدنيا، فلا يلهث وراء شهواتها وملذاتها، بل عليه دومًا أن يوقن أن الدنيا والآخرة ضرتان فإذا أرضى إحداهما أغضب الأخرى.

فإن فعل المرء كل ما سبق عن شعور بأن الله يراقبه، ونفور من اقتراف تفريط في جنب الله، فقد استحيا من الله حق الحياء، والحياء بهذا الشمول هو الدين كله.

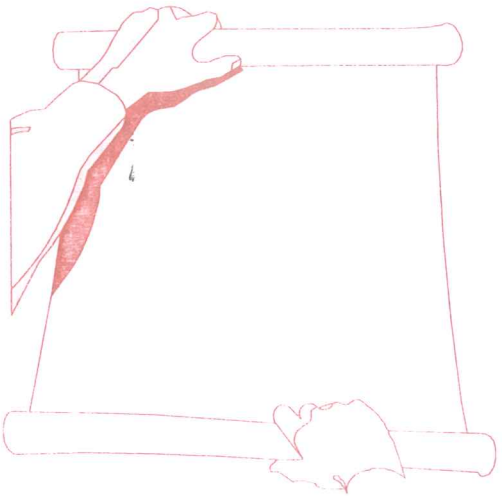

احترس.. أنت مراقب

كذلك فمن حق الحياء من الله تعالى أن يستحي العبد منه سرًّا وعلانية، وأن يراقبه في كل حركة وسكنة.

وحتى يتضح لك هذاالأمر دعني أضرب لك مثالًا:

لو فرضت أن ملكًا قتَّالاً للرجال، سَفَّاكًا للدماء، شديد البطش والنكال على من انتهك حرمته ظلمًا، وسيَّافه قائم على رأسه، والنِّطْع مبسوط للقتل، والسيف يقطر دمًا، وحول هذا الملك الذي هذه صفته جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحدًا من الحاضرين يَهُمُّ بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه، وهو ينظر إليه، عالم بأنه مطلع عليه؟! لا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكلا: بل جميع الحاضرين يكونون خائفين، وجلةً قلوبهم، خاشعةً عيونهم، ساكنة جوارحهم خوفًا من بطش ذلك الملك[1].

مثال آخر:

هب أنك دخلت مستشفى من المستشفيات الحديثة، أو زرت مصنعًا من المصانع، أو ذهبت إلى متجر من المتاجر الكبيرة فإنك حتمًا ستجد بعض الكاميرات التلفزيونية في شتى أنحاء هذه الأماكن لمراقبة كل من بداخل هذه الأماكن خاصة العمال واللصوص، وبالتالي ينزجر هؤلاء جميعًا فتراهم يضبطون سلوكهم ضبطًا محكمًا، فيتكلمون بقدر ويتصرفون بحذر، لاحتمال تسلط الكاميرات عليهم مما يساعد على فضيحتهم وكشف أمرهم.

ولله المثل الأعلى: فالله سبحانه هو العالم بكل شيء فهو سبحانه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات أو في

(١) راجع أضواء البيان للشيخ الشنقيطي رحمه الله (٣/ ٩، ١٠) بتصرف. ط. مكتبة ابن تيمية.

الأرض كذلك فهولا يخفى عليه شيء بل السر عنده علانية، وهو سبحانه عالم بما تنطوي عليه الضمائر، وما يُسِّر العباد، وما يُعلنون..

فإذا علم العبد أن معبوده مشاهدٌ لعبادته تعيَّن عليه تزيين ظاهره بالخشوع، وباطنه بالإخلاص والحضور، إذ هو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

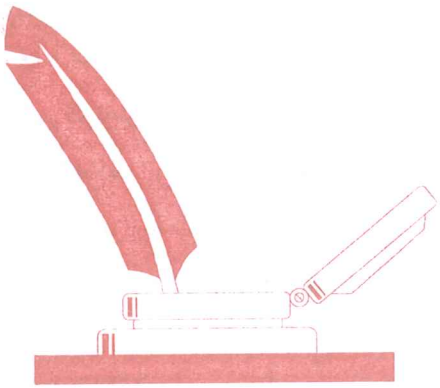

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بشريات.. وبركات

يسوقها إليك -عبد الله- الشيخ الشنقيطي رحمه الله إذ يقول:

(وإذا أيقن العبد بكل هذا، ولاحظ أن ربه جلَّ وعلا ليس بغائب عنه، وأنه مطلع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوي لان قلبه وخشى الله تعالى، وأحسن عمله لله)[1].

ويوضح لنا الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله تعالى- السبب في مراقبة العبد لربه قائلاً:[2]:

السبب الموجب للخشية من الله في السر هو علم العبد ان

(١) نقلاً عن أضواء البيان (٣/ ٩-١٠).

(٢) راجع جامع العلوم والحكم، ص١٥٢، بتصرف يسير.

الله يراه حيث كان، ومطلع على ظاهره وباطنه، وعلانيته وسره، فاستحضر ذلك في خلواته، مماأوجب له ترك المعاصي في السر، وإلى هذ المعنى أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

فيا عبد الله احرص على مراقبة ربك في سرك وجهرك، وإياك أن تكون وليًّا له في العلانية وعدوًّا له في السر، ويذكرك بهذا الأمر الجلل الربيع بن خثيم فيقول: إذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممت فاذكر علمه بك، وإذا نظرت فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرت فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

فإذا راقبت ربك فأيقن يقينًا جازمًا: أن من راقب الله في السر حُرست جوارحه.

مثال فريد

ومن الأمثلة القرآنية البديعة في هذا الشأن ما أورده ربنا في كتابه في شأن نبي الله يوسف -عليه السلام- حينما تعرض لفتنة من أشد الفتن على القلوب والعقول والأجساد الفتية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشابة وهي فتنة النساء [والتي هي من أعظم الفتن في كل زمان ومكان على الرجال -عامة- والشباب منهم -خاصة-]، ولكن انظر كيف أن نبي الله يوسف عليه السلام صبر واستحيا من ربه وخالقه رغم مراودة امرأة العزيز له وهي امرأة ذات مالٍ وجمالٍ وجاهٍ فتوفرت فيها كل دواعي الفتنة لشاب حَسَنِ الخِلقة وقوي البنيان، ولكن على الرغم من كل ما ذكرناه آنفًا، وعلى الرغم من أنه كان مطلوبًا لا طالبًا، ثبت يوسف عليه السلام وراقب ربه تبارك وتعالى واستحيا منه، وقال كما سطر القرآن كلامه: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف: ٢٣-٢٤].

وقد ذكر الطبري: في تأويل هذه الآية الكريمة أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا: «أي لولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها، فلم يقْع الهمُ لوجود البرهان وهو حياءُ يوسف من ربه وعصمة الله عز وجل له»[1].

(١) مختصر تفسير الطبري لابن جرير الطبري، ص١٢٦، ط. مصطفى الحلبي.

الحياء من صفات الله

إذا كنا نعرض للقسم الأول من أقسام الحياء وهو الحياء من الرب تبارك وتعالى فلا بد وأن نبين مسألة في غاية الأهمية، فأقول مستعينًا بالله:

لا يخفى على أصحاب العقائد السليمة أن الحياء[1] صفة

(١) أصل الحياء: الانقباض عن الشيء والامتناع عنه خوفًا من مواقعة القبيح، وهذا محالٌ على الله تعالى يقول الراغب الأصفهاني: «والحياء في حق الله ليس هو انقباض النفس، إذ هو تعالى منزه عن الوصف بذلك كما في قوله تعالى: {والله لا يستحيي من الحق} [الأحزاب: ٥٣].
وعلى هذا فنحن نثبت لله تعالى حياءً، يليق به سبحانه من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل، ولا تكييف، ونُفوض الكيفية له سبحانه فهو سبحانه {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}، خلافًا لما تزعمه الأشاعرة والماتريدية وغيرهما من الفرق المخالفة للعقيدة الصحيحة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثابتة من صفات الله ثبتت في الكتاب وصحيح السنة [1]، والتي نثبتها من غير تأويل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف بل نثبتها كغيرها من الصفات لله تعالى كما هو معتقد الفرقة الناجية (أهل السنة والجماعة) [2].

والأدلة القرآنية والنبوية متكاثرة على إثبات هذه الصفة لله تعالى: يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦]. قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وأما الأدلة من السنة:

(١) راجع ذلك في سائر كتب العقائد السلفية القديمة والمعاصرة، خاصة البحث المائع المسمى «صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة» تأليف علوي بن عبد القادر السقاف، ص١٠٨، ١٠٩. ط. دار الهجرة للنشر والتوزيع.

(٢) فائدة: ننصح كل مسلم بالاجتهاد في تصحيح معتقده وتحقيق التوحيد على منهج أهل السنة والجماعة ومن أجمل الكتب في هذا الباب.. كتب الشيخ محمد بن جميل زينو، شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الطحاوية، الشريعة للآجري، اعتقاد أهل السنة للالكائي، السنة للخلال، كتاب التوحيد لابن خزيمة، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم...."

فعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل يديه أن يردهما صفرًا خائبتين» [1].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه مرفوعًا: أن رسول الله ﷺ قال في شأن النفر الثلاثة الذين وقفوا على مجلسه: «أما أحدهم فأقبل على الله فأقبل الله عليه، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه» [2].

وممن أثبت صفة الحياء، والاستحياء من السلف الإمام أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي، فيما نقله عنه شيخ الإسلام في الفتاوى (٤/ ١٨١)، موافقًا له..

وعلى هذا.. فكل.. نص يرد فيه وصفه تعالى بالحياء، فهو حياء محمول على معنى يليق به سبحانه وتعالى ولا يشبه حياء المخلوقين.

قال ابن القيم: «وأما حياء الرب تعالى فهو ثابت، فالله

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وأبو داود وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٣١)، وصحيح الترمذي (٣/ ١٧٩)، وصحيح الجامع (١٧٥٧).

(٢) رواه البخاري واللفظ له، ومسلم (١٤٠٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تعالى يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، ويستحي أن يُعذب شيبة شابت في الإسلام» [1].

وقال رحمه الله أيضًا:

«وأما حياء الرب تعالى من عبده، فذاك نوع آخر، لا تُدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم، وبرٍّ، وجود، وجلال، فإنه تعالى حييٌّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرًا، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام» [2].

فالله تعالى مع كمال غناه عن الخلق كلهم من كرمه يستحي من هتك العاصي، وفضيحته، وإحلال العقوبة به، فيستره بما يُعيض له من أسباب الستر، ويعفو عنه، ويغفر له، ويتحبب إليه بالنعم، ويستحي ممن يمد يديه إليه سائلاً متذللاً أن يردهما خاليتين خائبتين [3].

كذلك يقول رحمه الله: في نونيته:

(١) المدارج (٢/ ٢٦٢).

(٢) راجع المصدر السابق (٢/ ٢٦١).

(٣) راجع فقه الحياء للشيخ محمد بن إسماعيل، ص٤١.

وهو الحيِيُّ فليس يَفْضَحُ عبدهُ

عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بالعِصْيَانِ

لكنَّه يُلقي عليه ستره

فهو السِّتِّيرُ وصَاحِبُ الغفران

ذكر شارح النونية الشيخ محمد خليل هراس [1] رحمه الله عند التعليق على هذين البيتين فقال: «وحياؤه تعالى وصفٌ يليق به، ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغيُّر وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب أو يُذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه، فالعبد يجاهر بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه له، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيئه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو ويغفر»اهـ.

(١) شرح نونية ابن القيم للشيخ محمد خليل الهراس (١/ ٢٤٦) ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال المُباركفوري: «قوله (إن الله حيِيٌّ) فعيلٌ من الحياء أي: كثير الحياء، ووصفه تعالى بالحياء يُحمَلُ على ما يليه به كسائر صفاته»[1].

(١) تحفة الأحوذي (٩/ ٥٤٤).

التوحيد..
أول واجب على العبيد

فإذا علمت ذلك، وآمنت به على النحو المرضي، فاعلم أيها الكريم الفاضل: أن من الحياء مع الله: محبته سبحانه وتعالى، ومن الحياء أيضًا: معرفة حق الله تعالى على العباد وهو أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئًا، وأن يوحدوه توحيدًا صحيحًا سليمًا بعيدًا عن شوائب الشرك والبدع، لأنه لاسعادة في الدنيا ولا نجاة في الآخرة إلابتحقيق التوحيد.

ولا تحسب أخي -غفر الله لي ولك- أن التوحيد كلمة تُردِّدها الألسنة فحسب بل لا بد لتحقيقها من الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالجوارح والأركان وتحويل هذا المعتقد إلى واقع عملي ومنهج حياة، بل لا بد من إقامة المجتمع المسلم المتكامل البنيان على ضوابط التوحيد والإيمان.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أهم مقتضيات كلمة التوحيد: الإقرار بتوحيد الربوبية: والذي هو إفراد الله تعالى وحده بالخلق والرزق والتدبير والأمر كله قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومن مقتضياتها: الإقرار بتوحيد الألوهية: والذي يعني إفراد الله تعالى وحده بالعبادة الظاهرة والباطنة (سواء أكانت عبادة قلبية أو قولية أو عملية) قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ومن مقتضياتها أيضًا: الإقرار بتوحيد الأسماء والصفات[1]: وهو إفراد الله تعالى بأسماء الجلال وصفات

(١) زعم الزاعمون أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام كما هو معلوم: أمر محدث لا دليل عليه، وصنفوا في ذلك عددًا من المصنفات التي لا تُغني ولا تُسْمِن من جوع، والحق أن من اطلع على هذه الرسائل بعين العلم والإنصاف سيجدها عبارة عن جمع لشتات من الترهات، والخزعبلات التي لا تستند إلى أصول صحيحة، بل لا تساوي والله حتى ثمن الورق والمداد الذي كُتبت به، ولكن وعلى الرغم من ذلك فلقد ردَّ عليها الكثير من مشايخنا كشيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر في رسالة «القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم

الكمال والإيمان بها من غير تمثيل[1] ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تحريف مع قطع الطمع في إدراك كيفية هذه الصفة قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] وهذا المقتضى من أعظم وأشرف مقتضيات التوحيد لأنه متعلق بذات الله تعالى وشرف العلم يرجع إلى شرف المعلوم.

ومن مقتضيات هذه الكلمة: أن يكون ولاء المسلم لله تعالى ورسوله وللمؤمنين، وأن يكون براؤه من الشرك وأهله كما تبرَّأ إبراهيم والذين معه من المشركين، وكما تبرأ نبينا ﷺ من المشركين[2].

ومن مقتضيات هذه الكلمة: أن يكون الآمر والناهي في هذه الحياة هو الله، كذلك أن يُصاغ النظام الاقتصادي

التوحيد»، ود/ محمود بن عبد الرازق الرضواني في رسالة لطيفة له بعنوان: «القول المفيد في علة تقسيم التوحيد».

(١) الأفضل استعمال لفظ (التمثيل) لثلاثة أمور ذكرها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله. راجع ذلك في شرح الشيخ على العقيدة الواسطية.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن قاسم (٢/ ٩٥) ط. الدار العربية للنشر والتوزيع.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأخلاقي والاجتماعي والفكري والحضاري والتربوي وفق المعايير الربانية، فكلمة التوحيد تعني عمليًّا: صياغة كل جزئيات الحياة، وكلياتها وفق التصور الإسلامي باعتبار أن هذا الدين دين شامل ومنهج حياة متكامل[1].

الحياء في الخلوات

كذلك فإن من الحياء مع الله (الحياء من الله في الخلوات): فالمؤمن يخشى الله تعالى في السر والعلانية، بل هو دائما يدعو الله أن يرزقه الخشية كما كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة»[2].

فالمؤمن يستحي من الله في خلواته كما يستحي من الله في علانيته فهو يعلم يقينًا قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

قال مجاهد: «هو الرجل يخلو بمعصية الله فيذكر مقام الله فيدعها فَرَقًا من الله».

(١) حقيقة التوحيد: الشيخ محمد حسان حفظه الله تعالى، ص١١، ط.دار نور الإسلام.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢٦٤) والحاكم (١/ ٥٢٤-٥٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.

تحذير نبوي

ولقد حذَّر النبي ﷺ من ينتهك الحرمات، ولا يستحي من الله في حال الخلوات.

كمن يشاهد الأفلام الجنسية الداعرة المدمرة للأخلاق، وكمن يعكف أمام شبكة الإنترنت والشات على المواقع الإباحية وكالذي يقوم الليل كله لا في المحراب مصليًا تاليًا للقرآن، وإنما يقوم الليل مع داعرة ساقطة، أو كالذي يرتكب العادة السرية المحرمة، كل هؤلاء حذرهم من الاستهزاء بنظر الله لهم في خلواتهم وهم مقيمون على المعاصي:

فعن أبي عامر الألهاني رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لأعلمنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا فيجعلها الله هباء منثورًا»، قال ثوبان: يا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسول الله صِفْهُمْ لنا قال:« أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم يأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»[1].

إن المسلم الحق الذي أرهف الإسلام مشاعره، وفتح نوافذ البصيرة في نفسه، ليأنف من رؤية الله له في أثناء خلوته وهو يقترف الآثام والكبائر، شعاره في ذلك قول أحد السلف: «خَف الله على قدر قدرته عليك، واستحي منه على قدر قربه منك».

وقال يحيى بن معاذ الرازي: «من خان الله في السرِّ، هتك ستره في العلانية».

وعن الأوزاعي أنه قال: سمعت بلال بن سعد يقول: «لا تكن وليًّا لله عز وجل في العلانية وعدوَّه في السرِّ».

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥) والطبراني في المعجم الأوسط (٤٦٣٢) وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٧٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله تعالى.

وصدق القحطاني إذ يقول:

وإذا خَلَـوْتَ بريبـةٍ في ظُلمـةٍ
والـنَّفْسُ داعيـةٌ إلى العـصيانِ
فاستح مِنْ نَظَرِ الإلـه وقُـلْ لها
إن الـذي خَلَـقَ الظـلام يَـرَانِي[1]

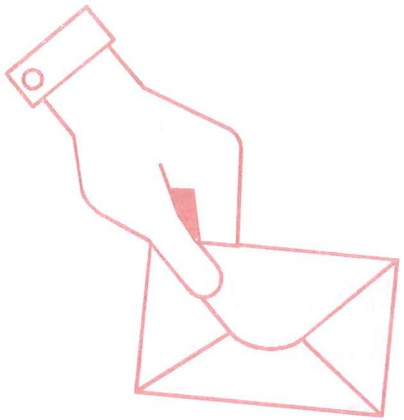

(١) متن نونية القحطاني، ص٥٢، ط. الأندلس السلفية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

احذروا الجهر بالمعاصي

وهؤلاء الذين يقترفون المنكرات، ويقعون في المعاصي سرًّا ويسترهم ربهم -سبحانه وتعالى- ثم يفضحون أنفسهم بالحديث عما فعلوه في أنديتهم جهرًا، أولئك من المجاهرين بالمعاصي وهم على خطرٍ عظيم إن لم يتوبوا ويندموا على ما اكتسبوا من الآثام.

وأسوق إلى هؤلاء حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه**»[1].

(١) رواه البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

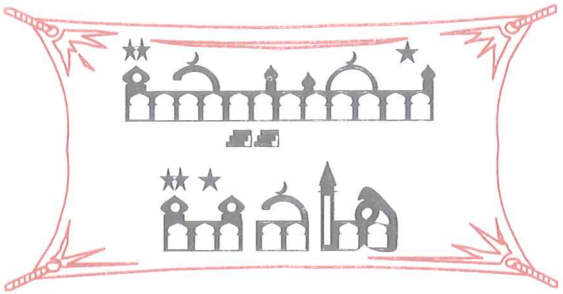

فيا مَنْ تستخف بنظر الله تعالى إليك، وتجهر بالمعاصي والذنوب احذر من استدراج ربِّك لك، فلقد أمهلك حتى كأنه أهملك، أما تستحي من ربك من طول ما لا تستحي؟!

أما تخشى أن يختم لك بذلك، فتكون من أهل النيران؟ أما علمت أن ذنوب الخلوات تؤدي إلى الانتكاسات، وأن طاعة الخلوات طريق للثبات حتى الممات؟.

فالزم الحياء من الله تعالى، واعلم أن أقل الحياء من الله: هو ألا يراك حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك، وكماله : ألا تريد بقلبك سواه..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استروا العورات

وإن من الحياء مع الله تعالى ثم مع الخلق: ستر العورات فلقد سَنَّ رسول الله ﷺ لنا ستر العورات، وحضَّ على ذلك حياءً من الله تعالى ومن الناس.

فعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**»، قلت: يا رسول الله؛ إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «**إن استطعت أن لا يراها أحد فافعل**»، قلت: يا رسول الله؛ إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال:

«**الله أحق أن يُستحيا من الناس**»[١].

وهو محمولٌ على الندب والكمال، وليس على ظاهره المفيد الوجوب[٢].. والله أعلم.

وسُئل النبي ﷺ عن كشف العورة خاليًا فقال: «**الله أحق أن يُستحيا منه**»[٣].

وقد بَوَّبَ الإمام مسلم بابًا بعنوان (باب تحريم النظر إلى العورات)، ثم استدل على ذلك بحديث عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا تُفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**».

وعن يعلى بن أمية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن**

(١) رواه أحمد (٥/ ٣-٤)، وأبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٩٤) وحسنه الحاكم (٤/ ١٨٠) وحسنه الألباني في آداب الزفاف برقم (١١٢)، وصحيح الجامع (٢٠٣).

(٢) راجع أيضًا فيض القدير (٢/ ٢٨٨) حديث رقم (١٧٩٢)، والمجموع للإمام النووي (٣/ ١٥٦).

(٣) فيض القدير (٢/ ٢٨٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله تعالى حَيِيٌّ يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»[1].

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن التعري في النوم واليقظة[2].

ذكر البيهقي تعليقًا على هذه الأحاديث[3]: يدخل في جملة الحياء من الله عز وجل ثم من الناس ستر العورة، لأن الشريعة كما جاءت بالأمر بستر العورة فكذلك الناس بحكم طباعهم يَعُدُّون كشفها سفاهة وخلاعة[4].

(١) رواه أبو داود (٤/ ٤٠)، النسائي (١/ ٢٠٠)، البيهقي (١/ ١٩٨)، وصححه الألباني في الإرواء (٧/ ٣٦٧).

(٢) النهي ثابت عند الترمذي عن ابن عمر، وعند البيهقي في الشعب (٦/ ١٤٦).

(٣) شعب الإيمان (٦/ ١٥٠).

(٤) أين هذا مما يفعله الشباب اليوم؟! فإن من المحزن المؤسف أن ترى هؤلاء الشباب المساكين يتسابقون إلى إظهار عوراتهم مسايرة للموضة الغربية، حتى أن بعضهم لا يستحي أن يُصلي بهذه السراويل الضيقة، أو السراويل الساقطة التي حسرت وكشفت عن عورته المغلظة، فإذا نهيته عن هذا قال لك: أنا أحسن من غيري، وهذه هي الموضة العصرية ولقد صدق الشاعر حين قال:

وما عجبٌ أن النساء ترجلت ... ولكنَّ تأنيث الرجال عُجَابُ

رَضِيَ الله عن أسلافنا

لقد كان سلفنا الصالح يستحيون من الله عز وجل، ويستر الواحد منهم عورته، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: (استحيوا من الله فإني أذهب إلى الغائط فأظل متقنعًا بثوبي حياء من ربي عز وجل).

وكان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم لا يُقيم صلبه حياء من الله تعالى، وكان أحد السلف إذا خلا بنفسه في جوف بيته لبس لباسه كله، فسئل عن هذا فقال: ربي مطلع عَلَيَّ، وربي ناظرٌ إليَّ..

فيا أيها المؤمن يا مَنْ توقن وتعتقد أن الله سميع بصير، رقيب قريب، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ليكن هذا المعتقد دافعًا لك لتديم المراقبة لربك والحياء منه في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحركات والسكنات، وذلك لا يكون إلا بالاجتهاد في اجتناب ما نهى الله عنه، ولتعلم أن من كساه الحياء ثوبه لم يَرَ الناس عيبه...

أثر الحياء مع الله على صاحبه

إن الحياء مع الله القائم على تأثير الدين وباعث الإيمان يحول بين الإنسان وبين الانتكاس في وهدة الجحود والكفران.

كذلك فإن الجهاد إذا تمكن من المؤمن؛ فإنه يمنح صاحبه يقظة وحِسًّا دقيقًا فإذا سوَّلت له بواعث السوء ارتكاب خطيئة استحى أن يعصي ربه وهو يعيش في ملكه، وأن يعصيه وهو مطلع عليه يراه..

كذلك فالحييُّ مع ربه يدفعه حياؤه دومًا إلى التحلي بالمراقبة في الباطن، والالتزام بالأوامر واجتناب النواهي والوقوف عند الحدود والمسارعة في الخيرات في الظاهر لهذا كان الحياء قنطرة يصل بها العبد إلى الولاية...

لهذا ترى ابن القيم رحمه الله يؤكد على ما أصلناه من أن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التقوى قاعدة الحياء فيقول رحمه الله: «ولما كان الحياء من شيم الأشراف وأهل الكرم والنفوس الزكية، كان صاحبه أحسن حالاً من أهل الخوف، ولأن في الحياء من الله ما يدل على مراقبته وحضور القلب معه، ولأن فيه من تعظيمه ما ليس في وازع الخوف، فَمَنْ وازعه الخوف: قلبه حاضر مع العقوبة، ومَنْ وازعه الحياء: قلبه حاضرٌ مع الله. والخائف مراعٍ جانب نفسه وحمايتها، والمستحي مراعٍ جانب ربه وملاحظ عظمته، وكلا المقامين من مقام الإيمان، غير أن الحياء أقرب إلى مقام الإحسان وألصق به، إذا أنزل نفسه منزلة من كأنه يرى الله، فنبعت ينابيع الحياء من عين قلبه وتفجرت عيونها.. هـ»[1].

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٢-١٧٣).

سؤال وجوابه

قد تقول: وكيف أكتسب الحياء من الله تعالى؟

والجواب: مما يعين على اكتساب الحياء من الله تعالى أمور منها:

أولًا: معرفة الله حق المعرفة، ومشاهدة معاني أسمائه وصفاته.

ثانيًا: مشاهدة نعم الله، ورؤية التقصير في أداء شكرها.

ثالثًا: التفكر في الموقف بين يدي الله في عرصات القيامة، فمن تفكر في ذلك وتذكر أهوال الموقف العظيم يوم يشيب الوليد، ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[الحج: ٢].

فمن تدبر أمره وتأمل موقفه، وعلم أن الله سائله، فأورد على نفسه ماذا سيقول لربه غدًا، كان ذلك دافعًا لكي يكتسب الحياء من الله تعالى.

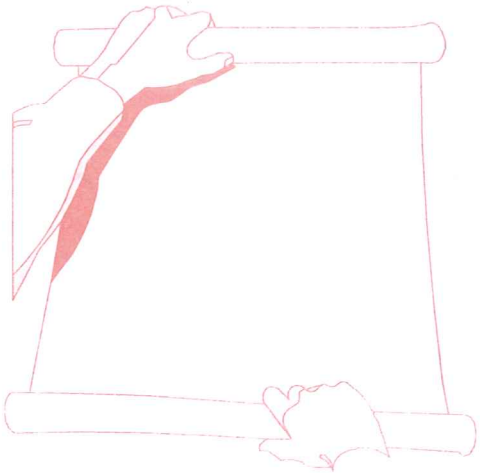

الحياء مع النبي

سبق أن أشرنا إلى أن النبي ﷺ بعثه ربه ليتمم مكارم الأخلاق لأتباعه من أمته فكان ﷺ ذا خلق رفيع.

ومن هذه الأخلاق الكريمة والسجايا الفاضلة -التي تَخَلَّق بها رسول الله ﷺ- خلق الحياء، حيث كان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خِدْرِها، وكان ﷺ من أشد الناس حياءً من ربه ومن الناس، يؤيد ذلك حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه وهو يروي تردد النبي ﷺ بين ربه وبين موسى عليه السلام في لية الإسراء والمعراج، وسؤاله ربه التخفيف حتى جعلها خمسًا فقال موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: «سألت ربي حتى استحييت، ولكن أرضى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأُسَلِّم»[1].

قال القاضي عياض: «وأما الحياء والإغضاء (فالحياء): رقةٌ تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقعُ كراهيته أو ما يكون تركه خيرًا من فعله، والإغضاء: التغافل عما يكرهه الإنسان بطبيعته»[2].

وكان النبي ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

بل والناظر إلى سيرة النبي ﷺ يرى كيف أَثَّر هذا الخلق الكريم في حياة النبي ﷺ وفي سائر أحواله تأثيرًا واضحًا.

ولقد صدق سلم بن عمرو حين قال:

لا تَسْأَلِ المَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ
فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الخَبَرِ

فالنبي ﷺ أرحمُ الخلق وأرأفهم بهم، وأعظم الخلق نفعًا

(١) صحيح البخاري (٥/ ٦٦).

(٢) راجع شرح الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ٧٥)، ط. بمطبعة العثمانية باسطنبول.

لهم في دينهم ودنياهم، وأفصح خلق الله وأحسنهم تعبيرًا عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الموجزة القليلة، وهو ﷺ أصبرهم في مواطن الصبر، وأصدقهم في مواطن اللقاء، وأثبتهم عند لقاء الأعداء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل بأضعافه، وأشدهم تواضعًا، وأعظمهم إيثارًا على نفسه، وأشد الخلق ذبًّا عن أصحابه وحمايةً لهم ودفاعًا عنهم، وأقوم الخلق بما يأمر به وأتركهم لما ينهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه ﷺ.

قال ابن الجوزي: «ابتعث الله محمدًا ﷺ فرفع به المقابح وشَرَّع المصالح، فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره سالمين من العدو وغروره، فلما انسلخ نهار وجودهم أقبلت أغباش الظلمات، وصارت الأهواء تُنشيء بدعًا وتضيق سبيلاً مازال متسعًا، ففي ظل هذه الأهواء والبدع ضاع الأكثرون وكانوا شيعًا، ونهض إبليس يُلَبِّسُ ويُزَخْرِفُ ويُفَرِّقُ ويُؤَلِّفُ»[1].

(١) تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص٤، ط. دار الكتب العلمية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واجبك نحو نبيك

لهذا كان من الواجب علينا نحو النبي ﷺ حيًّا كان أو ميتًا:

١- الأمر بمحبته ﷺ وتعظيمه من غير غلوٍّ أو إطراء: قال ابن تيمية: «إن القيام بالمدحة المشروعة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له هو قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله»[١] وقد دلَّ على ذلك الكثير من الأدلة والتي تضافرت في الكتاب والسنة، وبينت بجلاء وجوب محبة النبي ﷺ ومنها:

حديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده

(١)الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، ص٢١١، ط.دار الكتب العلمية.

والناس أجمعين»[١]. قال ابن حجر: «وخَصَّ الوالد والولد بالذكر لكونهما أعز خلق الله على الإنسان، بل وربما كانا أحب إليه من نفسه، وفي هذا تأكيد على وجوب محبة الرسول ﷺ، وأنه ﷺ أحب إلى النفس المؤمنة من كل حبيبٍ وعزيزٍ، بل من سائر البشر جميعًا»[٢].

وقد قسَّم ابن رجب محبة الرسول ﷺ إلى نوعين[٣]:

١- فرض لازم: وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله ثم تلقى ذلك بالمحبة والتسليم والرضا.	٢- فضل: وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به صلى الله عليه وسلم وتحقيق الاقتداء بسنته وأخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه وغير ذلك من آدابه الكاملة وأخلاقه الطاهرة.

(١)متفق عليه.

(٢)الفتح (١/ ٥٩).

(٣)استنشاق نسيم الأنس لابن رجب، ص٣٤، ٣٥، ط.المكتب الإسلامي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- ومن علامات محبة النبي ﷺ[١]: فقد رؤيته والذي يكون أشد على المحب من فقد أي شيء آخر في الدنيا بمعنى أنه لو خُير بين رؤية النبي ﷺ إن كان ذلك ممكنا وبين فقدان غرض من أغراض الدنيا لاختار أن يرى حبيبه ﷺ.

٣- ومن علامات محبة النبي ﷺ تمني حضور حياته لنصرته.

٤- ومن أعظم علامات محبة النبي ﷺ: امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ونصر سنته، والذبُّ عن شريعته فعن **عائشة** رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أشد الناس حبًّا لي ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله**»[٢].

(١) أنصح بمراجعة رسالة «حب النبي وعلاماته» د/ فضل إلهي. فلقد أفاد فيها وأجاد.

(٢) الحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٩٣) والصحيحة برقم (٤١٨)، وأصل الحديث في صحيح مسلم.

محبون كاذبون

وقد ضلَّ عن محبته ﷺ أصناف من الناس منهم:

الشيعة الرافضة الغلاة: الذين فَضَّلوا أئمتهم المعصومين بزعمهم على النبي ﷺ وصحبه الكرام[١].

الصوفية الباطنية: وهم على أنواع:

فمنهم من فَضَّل الأولياء والصالحين والأقطاب على النبي ﷺ.

(١) انخدع كثير من الشباب بالشيعة -خاصة- في هذه الأزمان، لذا ننصح إخواننا بقراءة هذه الكتب لمعرفة عقائد هؤلاء القوم، وأهدافهم الخبيثة: كتب الشيخ إحسان إلهي ظهير ككتاب «الشيعة والقرآن» والشيعة وأهل البيت، «الخطوط العريضة» للشيخ محب الدين الخطيب، أصول مذهب الشيعة، ومسألة التقارب بين السنة والشيعة كلاهما للقفاري، وجاء دور المجوس للشيخ عبد الله الغريب، الشيعة الاثنا عشرية للشيخ السالوس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومنهم من تجاوز حد المدح المباح إلى (الإطراء)، حتى أنهم خلعوا على رسول الله ﷺ بعض صفات الربوبية، ومنحوه أخص خصائص صفة الألوهية. (من كشفٍ للضرِّ، وجلبٍ للمنافع، والعلم بكل شيء، بل العلم باللوح المحفوظ والقلم)[1].

حتى قال قائلهم وهو البوصيري في (بردته):

فـإنَّ مـنْ جُـودك الـدُنيا وضرَّتُهـا

ومـن عُلومـك عِلْـمُ اللَّـوح والقَلَـمِ

ومن الحياء مع رسول الله ﷺ الثناء عليه بما هو أهله

(١) لمعرفة ضلال الصوفية راجع كتاب «الصارم المنكى في الرد على السبكي» لابن عبد الهادي، غاية الأساس في الرد على النبهاني لأبي المعالي محمود شكري الألوسي، مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، وكتاب الزيارة كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية. ولا بأس بالاطلاع على كتب المعاصرين ككتاب «التصوف» للشيخ إحسان إلهي ظهير، ابن تيمية والتصوف د/ مصطفى حلمي، «الفكر الصوفي» للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، «شبهات التصوف» د/ عمر بن عبد العزيز، جلاء البصائر في الرد على كتاب شفاء الفؤاد والذخائر للشيخ سمير بن خليل المالكي، القول الفصل في حكم الاحتفال بخير الرسل للشيخ إسماعيل الأنصاري، كتاب «التوسل» للعلامة الألباني.

والصلاة والسلام عليه، والإكثار من ذكره، والتأدب عند ذكر سيرته، وحفظ حرمة بلده، والأدب في مسجده، وتوقير حديثه، وسنته عند سماعها.

ومن الحياء معه طاعته فيما أمر، والانتهاء عن كل ما نهى عنه وزَجَرْ، وتصديقه فيما أخبر، والتحاكم إلى سنته، والذبُّ عن عِرْضِه وعن عِرْضِ أصحابه، وعن عِرْضِ أزواجه أمهات المؤمنين، ونشر دعوته، وحفظ سنته، ومن أعظم العلامات للحياء من رسول الله ﷺ: اتباعه ﷺ:

قال الحسن[1]: «ادَّعى قوم حب الله فابتلاهم بقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فالاتباع... الاتباع -عبد الله- فإن في اتباع النبي ﷺ كل خير في الدنيا والآخرة.

(١) مواقف إيمانية، ص١١، للشيخ أحمد فريد، ط. دار الصفوة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيًا

الحياء من الملائكة

إن المسلم يعتقد أن الله تعالى قد وَكَّل له ملائكة كرامًا يحفظونه ويكتبون أعماله وأقواله، فهم معه يرقبونه ويسجلون عليه ما يفعل وفي هذا يقول رب العالمين تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

ويقول سبحانه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

ويقول جل وعلا: ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [يونس: ٢١].

البدع المنتشرة كتابي «الإبداع» للشيخ علي محفوظ، تحذير المسلمين من البدع والابتداع في الدين للشيخ أحمد بن حجر آل البوطامي، السنن والمبتدعات، الكلمات النافعة في الأخطاء الشائعة للشيخ وحيد بالي.

ويقول تعالى: ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠].

ويقول جل شأنه: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]

فإذا أيقنت أخي الكريم بذلك أفلا تستحي من هؤلاء الكرام؟! إن الإنسان ليحتشم ويستحي وهو بمحضر الكرام من الناس أن يسف أو يبتذل في لفظٍ أو حركة أو تصرف، فكيف به حين يشعر ويتصور أنه في كل لحظاته، وفي كل حالاته، في حضرة حفظة من الملائكة لا يليق أن يطلعوا منه إلا على كل كريم من الخصال والفعال.

«والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين» اهـ.

وما أجمل الكلمات التي كتب بها عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص عند سفرة لحرب فارس، فكان مما كتب إليه (...واعلموا أن عليكم ملائكة الله حفظة عليكم، يعلمون ما تفعلون في مسيركم ومنازلكم، فاستحيوا منهم وأحسنوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صحبتهم، ولا تؤذوهم بمعاصي الله وأنتم خرجتم في سبيل الله...)[1].

فالزم الاستحياء عبد الله من ملائكة الرحمن[2].

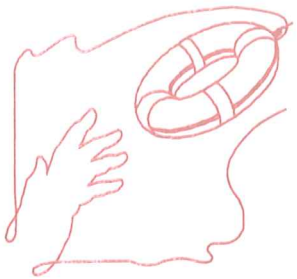

(١)راجع حلية الأولياء، لأبي نعيم (٥/ ٣٠٢، ٣٠٣).

(٢)وردت أحاديث عن النبي تحض على الاستحياء من الملائكة، غير أنها ضعيفة لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: من أنواع الحياء

الحياء من الخلق

ويكون بكف الأذى، وترك المجاهرة بالقبيح، وقد قيل: (إن خير ما أعطي المرء: عقل يردعه، وحياء يمنعه). ولا ينتج هذا النوع من الحياء إلا إذا توفر لدى المؤمن كمال المروءة وكمال الإيمان، لأنه من ألقى بجلباب الحياء من الخلق فاعلم أنه قليل المروءة ضعيف الإيمان.

ولقد أمر النبي الكريم بالإحسان إلى الخلق والحياء منهم، فقال ﷺ: «**أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح في قومك**»[1].

(١)رواه البيهقي في الشعب (٢/ ٤٦٢)، وأحمد في الزهد ص٤٦، والهيثمي في المجمع (١٠/ ٢٨٤) وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٧٤١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجعل النبي ﷺ هذا النوع من أنواع الحياء ضابطًا وحاكمًا لتصرفات المسلم وميزانًا لأحواله، فعن النوّاس بن سمعان رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال رسول الله ﷺ: «**البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس**»(١).

ومن المعلوم لكل ذي عقل وبصيرة أن الإنسان الخلوق يستحي أن يقترف ذنبًا أو يرتكب وزرًا أمام الناس ولا سيما أهل الصلاح والفضل.

ويؤكد هذا ما ساقه ابن عساكر عن محمد بن سيرين قال: خرج زيد بن ثابت رضي الله عنه يريد الجمعة، فاستقبله الناس راجعين، فدخل دارًا، فقيل له: فقال: إنه من لا يستحي من الناس لا يستحي من الله»(٢).

فالمسلم يستحي أن يُظهر للناس عورة، أو أن يطلع الناس منه على قبيح، أو أن يجاهر هو بقبيح مستور في نفسه، أو أن

(١) مسلم رقم (٢٢٥٣).

(٢) راجع تاريخ دمشق (٢١/ ٢٣٣)، صفة الصفوة (١/ ٢٥٤).

يخاطب الناس بمكروه، أو أن يقصر في واجب، أو أن يخالفهم بخلق سيِّئ.. شعاره في ذلك قول أحد السلف: لا خير فيمن لا يستحي من الناس.

وقال أحد السلف: «الحياء مع أهل العلم والتقوى والفضل والناس قنطرة إلى الجنة».

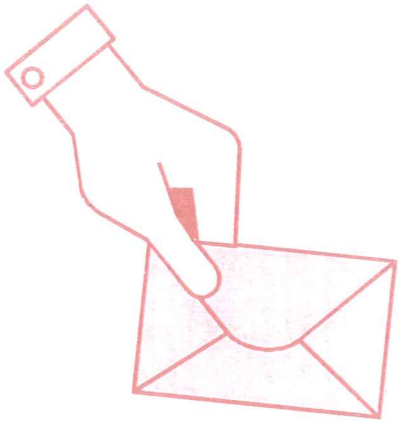

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كن حيياً مع خلق الله

إن من الحياء مع الخلق: أن تحب لهم من الخير مثل ما تحب لنفسك، وأن تتعامل مع الخلق بِخُلُقِ هذا الشرع الحنيف المحكم.

كذلك فإن من الحياء مع الخلق: أن تُحسن إليهم، وأن تُقدم المساعدة لمن يحتاجها منهم -ما استطعت إلى ذلك سبيلاً-

ثم إنَّ من الحياء مع الناس: أن تتقي الله فيهم وفي أعراضهم فتدفع سيئاتهم بالحسنى، فلا تُكافئ من عصى الله فيك بأن تعصي الله فيه.

ومن ذلك أيضًا: نصح المسلم إلى إخوانه ودعوتهم بالرفق

والحكمة والرحمة واللين، ثم الصبر على أذاهم والدعاء لهم[1].

وإن من الحياء مع الخلق: عدم التحاكم إلا لكتاب الله وسنة رسوله، وبيان ذلك: أنه إذا اضطر الواحد إلى التحاكم ضد شخص بعينه لظلم وقع عليه من هذا الشخص، فإنه لا يتحاكم إلا لكتاب الله وسنة رسول الله، وأهل العلم الربانيين، ومن ثمَّ يتقي أن يتحاكم إلى الطواغيت أو إلى أهل الأهواء وأصحاب الآراء الضعيفة والمرجوحة الموافقة للهوى الشخصي[2].

إنَّ من الحياء مع الخلق: مخالطتهم مع الصبر على آذاهم.

---

(١) ننصح بمراجعة كتاب «فقه أخلاق المؤمنين» لشيخنا أبي عبد الله مصطفى بن العدوي، وكتاب «الأساليب النبوية في التعامل مع أخطاء الناس» للشيخ المنجد.

(٢) ننصح إخواننا الذين يذكرون المشايخ والعلماء بسوء ويقعون في أعراضهم ويصفونهم بالتخلف والرجعية والتنطع والتشدد، وقلة الفهم للواقع، ننصح هؤلاء أن يتقوا الله في أعراض هؤلاء العلماء فلقد ذكر ابن عساكر رحمه الله «أن لحوم العلماء مسمومة وأن عادة الله فيمن يهتك أستارهم معلومة، وأنه من أطلق لسانه فيهم بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب».. راجع رسالة «لحوم العلماء مسمومة» د.ناصر العمر.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذلك فمن الحياء مع الخلق: قبول الحق ممن جاء به ولو كان عدوًّا في الظاهر، وإنصاف الناس ولو كانوا مبغوضين مشنوئين.

كذلك فمن الحياء مع الخلق: التماس الأعذار لهم، وترك تتبع عورات الناس ومعايبهم، والتغافل عن زلاتهم.

كذلك من الحياء مع الخلق أيضًا: معاملتهم بالمروءة، وقضاء حوائجهم، والصدق معهم، ومداراتهم في الحق، وحفظ أسرارهم، ومصاحبة الأخيار منهم، وتعظيم كبيرهم، والعطف على صغيرهم، وإقالة عثراتهم.

كذلك فمن الحياء مع الخلق: التأدب معهم، وترك سبهم، وشتمهم، وإساءة الظن بهم.

كذلك فالمسلم الحييُّ عفيف لا يسأل الناس شيئًا من أمور الدنيا، لأنه من المعلوم أن من صان نفسه عن مسألة الناس عزَّ ولم يذل، تصديقًا لقوله ﷺ: «**ومن يستعفف يعفه الله**»[1].

كذلك فالمسلم الحييُّ مع الخلق: يُحسن إلى الخلق جميعًا،

(١) جزء من حديث متفق عليه.

ويشكر للناس معروفهم، لأنه يعلم أن الله لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر[1].

المسلم الحييُّ مع الخلق: لا يؤذي مسلمًا قط، ويزيل الأذى عن جميع المسلمين، شعاره في ذلك قول **الفضيل بن عياض**: «والله ما يحل لك أن تؤذي كلبًا ولا خنزيرًا بغير حق، فكيف تؤذي مسلمًا»[2].

المسلم الحييُّ مع الخلق: يستحي من الناس، ولا يفتخر عليهم، ولا يواجههم بالمكروه مقتديًا في ذلك بالإمام **أحمد بن حنبل** الذي قال فيه **يحيى بن معين**: ما رأيت مثل أحمد، صحبناه خمسين سنة فما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير.

المسلم الحيي مع الخلق: لا يعادي أحدًا من أهل السنة

(١) استفدت هذه الجزئية من بحث «أدب السلف في التعامل مع الناس» تأليف أبي عبد الرحمن رضا بن عبد الحميد فتح الله، ص٢٣٧، ط. دار الخلفاء الراشدين بالإسكندرية.

(٢) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي (٨/ ٤٢٧) ط. الرسالة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والجماعة -خاصة- من عُرف بصحة المعتقد والاستقامة، وكان ظاهره الصلاح والتقى.

شعاره في ذلك: قول حريز بن عثمان الرَّحبي: «لا تعاد أحدًا حتى تعلم ما بينه وبين الله فإن يكن محسنًا فإن الله لا يسلمه لعداوتك، وإن يكن مسيئًا فأوشك بحمله أن يكفيك».

إن من الحياء مع الخلق: أن يُعرف لكل ذي فضل فضله، وأن يُتأدب معه، وأن يُحفظ عرضه، وأن يُستغفر له، وأن تنشر حسناته، وأن تُطوى سيئاته بالضوابط التي أصَّلها علماؤنا رحمهم الله تعالى في هذا الباب.

المسلم الحيي: يمنعه حياؤه أن يُضيع حقًا لصاحب حق، أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو يأخذ أموال الناس بالحياء حتى لا يتصف بهذه الأخلاق الذميمة.

إن من الحياء مع الخلق: أن يُعرف لكل ذي قدر قدره، فللولد مع والديه، وللغلام مع من يكبرونه، وللتلميذ مع من يعلمونه مسلك يقوم على الإحسان والتأدب والتقدم.

كذلك فمن الحياء: إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن العامل به، والعالم الربانيِّ.

ومن المواضع التي ينبغي أن يظهر فيها الحياء (أحاديث المجالس):

فيحسن بالمسلم الحيي أن يطهر فمه من الفحش، وأن ينزه لسانه عن العيب، وأن يخجل من ذكر العورات، وأن يحذر أن يزل في الهفوات، أو أن يتلفظ بالألفاظ البذيئة غير عابئ بمواقعها وآثارها.

بل على العكس: فهو قليل الكلام، ليِّن الجانب، يضبط أقواله وحركاته وسائر تصرفاته بشرع رب العالمين، فهو يَعلم متى يتكلم؟ ومتى يسكت؟ متى يغضب؟ ومتى يرضى؟ وما هي المواطن التي يجوز فيها الغضب؟!

وإن من الحياء مع الخلق: أن نحذر كل ما يُفسد ويفتت العلاقات الحسنة بيننا -نحن أفراد المجتمع المسلم- ونجتنب كل ما يُفتت وحدة أمتنا المسلمة عن طريق تحقيق الأخوة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الإيمانية [1] وإفساد مخططات أعداء الإسلام الذين يعلمون ليلًا ونهارًا لإفساد الوحدة بين أفراد المجتمع المسلم، ولعل من الأسباب الخطيرة التي فطن إليها هؤلاء «خطورة الشائعات» ومدى أثر الإشاعة الكاذبة في إفساد العلاقات وقطع أواصر الصلات، وبالفعل استخدم أصحاب الأهواء المغرضين هذا السلاح الفتاك وأطلقوا ألسنتهم بالكذب والزور، وإشاعة الأخبار الكاذبة، لينالوا من وحدة الصف، ويشتتوا شمل المسلمين.. وبالفعل نجح هؤلاء في إفساد العلاقات بين كثير من الناس في بعض الطبقات والمجتمعات التي تنتمي للإسلام.

لهذا نحذر ونقول: يا أهل الإسلام احذروا الشائعات، فكم للشائعات من ضحايا على مر الأزمنة، فبسببها كم من أواصر قطعت، ورحم أهملت، وكم من أخٍ عادى إخوانه، وكم من الحروب اشتعلت واستعرت بسبب الشائعات التي

(١) راجع «الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية» للشيخ سعيد عبد العظيم، «الأخوة أيها الإخوة» للشيخ محمد حسين يعقوب، «مفسدات الأخوة» هشام العقدة.

لا تصدر إلا من مجرمٍ منافق أو عدوٍّ حاقد.

وللوقاية من هذه الفتن

يجب على المسلم الذي يستحي من الله ثم من الخلق:

١- التثبت من الأخبار.

٢- الإعراض عن مجالس اللغو واللهو والمحرمات وتجنب أصحابها.

٣- التنحي عن مواطن التهم ومواقف الشبهات في الأقوال والأفعال والسلوكيات.

فمن الحياء أن يخجل الإنسان أن يؤثر عنه السوء، وأن يحرص على بقاء سمعته نقية من الشوائب بعيدة عن الإشاعات السيئة، فإن الغيبة إنما تحرم فيمن سترت حالته، أما من كشف صفحته وأظهر سوءته، فإن الناس لن يبلغوا منه ما بلغ من نفسه، ولذلك أمر رسول الله ﷺ من لوثته قاذورات المعاصي أن يتوارى عن الأعين، وعندمارآه بعض أصحابه مع زوجته في ناحية المسجد فعل ما رواه الشيخان عن عائشة أن أم المؤمنين صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها قالت: كان رسول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الله ﷺ معتكفًا فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني -ليصرفني- فَمَرَّ رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: «على رسلكما إنها صفية بنت حييٍّ» فقالا: سبحان الله فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى دم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا أو شرًّا»[1][2].

وقبل أن أترك هذه الجزئية أقول:

إذا كان الحياء مطلوبًا من الناس جميعًا فإنه مطلوب على نحو ألزم ممن ولاهم الله عز وجل أمور الناس، ومنحهم النفوذ والسلطان، وقد أنشد الشاعر فقال:

لا يعرِفُ الحقدَ منْ تعْلو بـه الرُّتـبُ

ولا ينـالُ العُـلَا مـنْ طبعُـه الغَـضَبُ

ولذلك لما غضب الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن

(١) رواه البخاري (٢٠٣٥) ومسلم (٢١٧٥).

(٢) فائدة: قال الشافعي: أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلم أمته التبرؤ من التهمة في محلها لئلا يقع في محذور، وهما كانا أتقى لله من أن يظنا بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئًا والله أعلم. اهـ.

مروان على رجل من أشراف الناس، وشتمه ما كان من الرجل إلا أن وبخه وقال له: أما تستحي أن تشتمني وأنت خليفة الله في أرضه؟! فأطرق هشام رأسه واستحيا! وقال للرجل: اقتص، واشتمني كما شتمتك، قال الرجل: ما كنت لأفعل!! فقال هشام بن عبد الملك: خذ عن ذلك عوضًا من المال، قال الرجل: لا، قال: فهبها لله، قل: هي لله ثم لك.. فَنَكَّس هشام رأسه وقال: والله لا أعود لمثلها أبدًا..

فهذا درس في الحياء لا يُنسى، ومثل ينبغي أن يُحتذى به، فإياك أخي الكريم وما يُعتذر منه[1].

فإذا تأدب الواحد مع خلق الله، فلاقى منهم شيئًا من الأذى فليصبر وله الأجر إن شاء الله تعالى.

(١) خلق المسلم، ص١٧٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعًا:

الحياء مع النفس

إن الحياء مع النفس: أمارة صادقة على طبيعة الإنسان فهو يكشف عن قيمته الإيمانية ومقدار أدبه، وعندما ترى الرجل يتحرج من فعل ما لا ينبغي، ثم ترى حُمرة الخجل تصبغ وجهه إذا بدر منه ما لا يليق فاعلم أنه حيُّ الضمير، نقيُّ المعدن، زكيُّ العنصر، أما إذا رأيت الشخص صفيقًا بليد الشعور لا يبالي بما يأخذ أو يترك، فهو امرؤ لا خير فيه وليس له من الحياء من النفس وازع يعصمه عن اقتراف الآثام وراتكاب الدنايا، لذا أوصى الإسلام أبناءه، بالتخلق بخلق الحياء من النفس.

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله: وحياء المرء من نفسه.. فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة من رضاها لنفسها

بالنقص، فيجد نفسه على حياء من نفسه، حتى كأن له نفسين يستحيي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحى من نفسه فهو أن يستحي من غيره أجدر[1].

إذن فالأصل: أن يستحي الإنسان من نفسه فيصون خلواته ويحفظها من أن يراها أحدٌ على وجه يوجب اللوم أو الانتقاص أو التجريح، وقد قيل: من عمل عملًا في السر يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر.

والفارق واضح بين من يطلب بعمله السمعة ومن يذود عن سمعته العباد، واتقاء المسلم للناس لا يعني النفاق، بإبطال القبيح وإظهار الحسن، كلا بل المراد عدم الجهر بالقبائح، والاستحياء من مقارفتها علانية، فإن الرجل الذي يخجل من الظهور برذيلة لا تزال فيه بقية من خير، والرجل الذي يخجل من نفسه كما يخجل من الناس، فإذا كره أن يروه على نقيصة، فليكره أن يرى نفسه على مثلها، إلا إذا حسبها

(١) انظر تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ص٢٨٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحقر من أن يستحي منها، وقد قيل: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر؛ ومن ثمَّ كان لزامًا على المسلم أن يبتعد عن الدنايا، ما ظهر منها وما بطن، سواء خلا بنفسه أو برز إلى الناس، وقد قيل: ما أحببت أن تسمعه أذناك فأته، وما كرهت أن تسمعه أذناك فاجتنبه»اهـ[1].

وحتى يرزق العباد هذا النوع من الحياء:

١-فلا بد من أن تتوطد العلاقة بين العباد وبين ربهم، ولا بد من توفر عاطفة حبة يترفع بها هذا العبد عن الخطايا والدنايا.

٢- وأن يجتنب الوقوع في المحظور حتى لو كانت سفاسف الأمور.

أما الإلمام بالمحاقر دون تورع، والوقوع في الصغائر دون اكتراث فذلك دلالة على فقدان النفس لحيائها، وفقدانها

(١)نقلًا عن مجلة الأزهر لشهر شعبان ١٤٢٦هـ سبتمبر ٢٠٠٥م من مقال «خصلتان يحبهما الله» ص١٢٨٩ للشيخ إبراهيم عطا الفيومي -الأمين السابق لمجمع البحوث الإسلامية-.

لإيمانها.

فعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت»

٣- صحح عقيدتك:

إن صاحب العقيدة الراسخة يستحي من نفسه، لأنه يعلم أنه لا يغيب عن علم الله ليلاً أو نهارًا، فينبغي أن يكون تهيبه لجلال الله أعظم، وتأدبه وتخلقه بالأخلاق الفاضلة أحكم.

عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت»[1].

واعلم أخي الحبيب -رزقت الحياء بأنواعه- أن المرء حينما يفقد حياءه من نفسه يتدرج من سيِّئ إلى أسوأ ويهبط من رذيلة إلى أرذل، ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل، لهذا أنصحك ألا تعمل عملاً في السر تستحي منه في العلانية.

(١)رواه بن حبان في روضة العقلاء، ص٢٦، الضياء في المختار (١/ ٤٤٩)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٥٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بركات الحياء

إن للحياء بركات كثيرة منها مايعود نفعه على الفرد، ومنها ما يعود نفعه على المجتمع.

أولًا: بركات الحياء على الفرد

ترويض النفس: يقول أبو حاتم محمد بن حبان البستي: (ومن أعظم بركات الحياء تعويد النفس ركوب الخصال المحمودة، ومجانبتها الخصال المذمومة)[1].

يحول بين صاحبه وبين المزجورات كلها: فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها.

(١)راجع روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص٦١.

كذلك فالحياء أصل العقل، وبذر الخير، وتركه أصل الشر، فالحياء يدل على العقل كما أن عدمه دال على الجهل.

كذلك فإن المرء إذا اشتد حياؤه صان عِرْضه، ودفن مساويه، ونشر محاسنه.

كذلك إذا حقق العبد الحياء مع ربه وفي نفسه وفي كلامه وفي عينه، وفي يده، ورجله، وبطنه كان له الأثر العظيم في حياته.

لأن حقيقة الحياء صون اللسان من البذاءة، وكف اليد عن الإساءة، وغض البصر عن النظرة الباغية، والحفاظ على اللسان من النطق بالكلمات النابية.

إذا حقق العبد الحياء اقترب من الخير وأسبابه فتكون السعادة في نفسه بالطمأنينة لأن ترك المعاصي راحة، ومع الآخرين محبة ومودة فكلا الأمرين نور على نور.

إذا حقق العبد الحياء وقوى و حياؤه قوي كرهه وضعف لؤمه.

إذا حقق العبد الحياء صار من أفضل الناس، ومن أولى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الناس بالدعوة إلى هذا الدين، لأن الدعوة إلى الله بالأخلاق السامية أعظم أثرًا من مجرد دعوتهم باللسان..

ومما يؤكد ذلك استدلال خديجة رضي الله تعالى لما أخبرها نبينا ﷺ، بما رأى في الغار قالت له: «والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتقري الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

فمكارم الأخلاق والتحلي بالحياء مع الناس من أعظم الأسباب في نجاح العمل الدعوي.

امرأة مسلمة أسلمت ببركة خلق الحياء

وحتى تُصدق مدى أثر التحلي بالحياء في دعوة الخلق إلى ربهم تبارك وتعالى، سأذكر لك قصة واقعية حدثت على أرض الواقع مع الشيخ المبارك محمد بن حسان حفظه الله ومتَّع المسلمين بحياته حيث يقول: كنت في ألمانيا، وبينما أنا في المركز الإسلامي في «فرانكفورت» أدخل عليَّ إخواني فتاة أرادت أن تُسلم لرب العالمين، فسألتها عن سبب إسلامها.

فقالت كلامًا بديعًا: لأن الإسلام دين العفة!!

قلتُ: لا إله إلا الله، وهل هذا هو الجانب الخفي وراء إسلامك؟!

قالت: نعم، ثم ذكرت أنها كانت في هولندا، وبينما هي تجوب الشوارع وصلت إلى ميدان كبير هناك، فسمعت تصفيقًا حادًّا وصراخًا، وأصوات عالية..

تقول: فاقتربت من هؤلاء لأرى ما الذي يحدث داخل هذه الحلقة الكبيرة من الرجال والنساء؟!

تقول: فلما اقتربت وجدت رجلًا يمارس الزنا مع امرأة داعرة أمام هذا الجمع الكبير، والناس يصفقون ويصيحون من غير استحياء..

تقول: أحسست وقتها باشمئزاز، واحتقار وازدراء لهؤلاء ولنفسي، فذهبت إلى بيتي بسرعة، واتصلت بأختٍ مسلمةٍ، كنت أعرفها من العمل وهي امرأة عفيفة محتجبة حيية لا تخالط الرجال على الرغم من جمالها، فسألتها: هل أباح دينكم أن يأتي الرجل المرأة علنًا أمام الناس؟!

قالت هذه الأخت: أعوذ بالله، بل حَرَّم ديننا أن يأتي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرجل زوجته في فراش الزوجية أمام الأطفال، وعلَّم ديننا حتى الأطفال أن يستئذنوا قبل الدخول على الوالدين، فالإسلام يربي أتباعه على الحياء والعفة..

تقول المرأة: فدخل حب الإسلام إلى قلبي، فطلبت من هذه الأخت أن تدلني على الطريق لأسلم لله تعالى، ولأتعلم أحكام هذا الدين العظيم[1].

فانظر عبد الله كيف أن الحياء كان سببًا في انشراح صدر هذه المرأة للإسلام؟

كذلك فإن من بركات الحياء: السمو بالنفس الإنسانية، وتأبِّيها عن السفاسف والرذائل، ورفضها لجحود النعمة، والكفر بالخالق العظيم الذي خلق فسوَّى، وتحاشيها لمعصيته ومخالفة أمره.

كذلك فإن فضيلة الحياء ترتكز في سموها ورفعة شأنها على أنها حياء من الله قبل كل شيء، ولذا تؤسس في صاحبها الشعور بالذنب ولو كان صغيرًا، وتجعل العبد على حذر من

(١) من شريط دعوي للشيخ بعنوان «الحياء خلق الإسلام».

الوقوع في المعصية، أو التورط فيما يغضب الربَّ، فيسارع إلى التوبة والإنابة، ليدخل في دائرة الأوَّابين التي قال فيها ربنا تبارك وتعالى: ﴿أَعْلَمُ رَبُّكُمْ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥].

من بركات الحياء أنه يُنمي الخصال الحميدة في المرء كالتقوى:

فالمتقون هم أهل الحياء، لامتلاكهم فضيلة المراقبة لله، والخوف منه، ومعرفتهم قدر المعبود الحق.

فالتقوى أرفع درجات الإيمان، لأنها تمثل اليقظة الواعية، والذاكرة الحاضرة والمعايشة الدائمة لعظمة الذات الإلهية، التي عَبَّر عنها القرآن بالذكر والتذكر.

ويترتب على هذا المستوى الرفيع من مستويات الإيمان آثار حتمية في السلوك، منها أن يكون صاحب هذا المستوى بمنأى عن عوامل الإغراء والإغواء، وهمزات الشياطين، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وبجانب هذا وذاك نجد أن المتقي يملك قدرًا كبيرًا من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحياء، الحياء من الله الذي خلقه وسواه، والنابع من استشعاره مراقبة ربه له فلا يراه حيث نهاه، وفي الوقت ذاته يُحسن العمل، ويتقنه.

ومن هنا نرى خلق الحياء يصل بصاحبه إلى درجة «الإحسان».

ومن بركات الحياء على الفرد: أنك إذا نظرت إليه وجدته خاشعًا خائفًا وجلاً من ربه على الدوام[1].

كذلك فإن من بركات الحياء أنه سبب عظيم من أسباب دخول الجنة، والنجاة من النار.

(١) فائدة ذكر ابن القيم -رحمه الله- فرقًا بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق فقال: خشوع الإيمان: هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه خشوع الجوارح، أما التباوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعًا ومراءاة، ونفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات، فهو يخشع في الظاهر...» راجع كتاب الروح لابن القيم. ت الشيخ محمد بيومي، ص٢١٤، ط. دار الغد الجديد.

وأخيرًا

أبشرك بكلام نفيس للماوردي إذ يقول:

«متى كمُل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كمُلتْ فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر، وصار بالفضل مشهورًا وبالجميل مذكورًا، وإن أخلَّ بأحد وجوه الحياء لحقه ما انتقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله»[1].

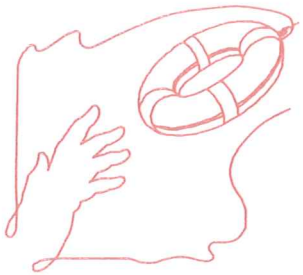

(١) راجع أدب الدنيا والدين، ص٢٤٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيًا:

بركات الحياء على المجتمع

إن الحياء في الإسلام ليس مقصورًا على الأفراد بأن نقول: إنه فضيلة نفسية فردية، وإنما هو بجانب ذلك فضيلة اجتماعية تحكم سلوكيات الرأي العام ممثلًا في وسائل إعلامه على اختلاف صورها مسموعة، أو مرئية أو مقروءة، وذلك لأن من سمات المؤمن أن يُدعم قضية الحياء على صعيد المجتمع حتى لا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

كذلك فإنه إذا ساد الحياء في المجتمع ساد الأمن بكل صوره وأشكاله. (سواء كان أمنًا اجتماعيًّا، أو ثقافيًّا، أو اقتصاديًّا، أو سياسيًّا).

فالحياء بمنظوره الإسلامي قيمة وزينة يجمل به الفرد إذا

كان خليقة له، ويعلو به شأن المجتمع إذا أصبح ظاهرة غالبة.

والفرق بين ما يزين وما يشين في سلوك المجتمعات يتمثل في فضيلة الحياء الذي يُعدُّ نقلة واسعة في السلوك الحضاري للبشر.

فما أسمى هذا الحياء!!

وما أعظم تأثيره في سلوك الفرد والجماعة!!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من ثمرات الحياء

ذكرنا أن الحياء خلق كريم يبعث على ترك القبيح، ويمنع من الإفراط أو التفريط، وفي الحقيقة فإن ثمرات هذا الخلق كثيرة منها:

العفة: وهي لا تكون إلا لمن اتصف بالحياء حتى غلب على جميع أحواله وأفعاله فصار عفيفًا بالطبع لا بالاختيار، فالعفة إنما هي نتيجة حتمية لخلق الإسلام الحياء.

ومنها أيضا دوام المراقبة لرب العالمين: فإن العبد الحَيِيَّ لا يُقابل الإحسان من ربه المنعم بالإساءة بل يراقب الله في كل سكناته وحركاته، وهذا العبد وأمثاله تركوا الذنب استحياء من كرمه -سبحانه- بعد أن تركوه خوفًا من عقوبته -جل شأنه-.

فمنهم يستحيون من ربهم ويراقبونه في السر والعلن، ولو لم يرد بالحياء شرع لحبهم لربهم جل جلاله ولقد صدق الشاعر حين قال:

هَبِ البَعْثَ لم تأتِنا رُسُلُهُ
وجَاْحِمَةُ النارِ لم تَضْرِمِ
أَلَيْسَ مِنَ الواجبِ المستَحَقِّ
حَيَاْءُ العِبَادِ مِنَ المُنْعِمِ؟!

ومن ثمراته الوفاء: قال الأحنف بن قيس: «اثنتان لا تجتمعان أبدًا من مؤمن: الكذب والمروءة.

وللمروءة ثمرات وهي: الوفاء والعفة.

وأريد أن أسوق بعض الأمثلة والشواهد الأخرى التي لا يتشكك في صحتها أحد من أولي الألباب، أو المعنيين بدراسة الأخلاق والقيم.

ومن ذلك فضيلة الصدق:

فالصادق إنسان ذو حياء، لأنه يرى الكذب نقيصة، بينما لو كان ذا دين سيستحي من ربه أن يكذب، لأن خلقه يمنعه من الكذب والزيف، كما قال رب العالمين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ءَامَنُوا۟ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة: ١١٩].

والآية هنا تشير إلى علاقة وثيقة بين التقوى والصدق، وقوامها في تصوري الحياء.

الأمانة: فالحياء دعامةٌ للأمانة، لأن صاحب الدين يستحي من الله أن يخون أمانة أمره سبحانه أن يوفى بها، إذ قال: ﴿ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

والحياء من أعراف المجتمع وقيمه، ويُعدُّ من البواعث الحافزة على الأمانة، كما يجعل حائلًا بين صاحبه وبين التورط في ضلال الخيانة.

العدل: وهو من القيم العظيمة والفضائل السامية التي يصونها الحياء، وتبقى لا شأنها في سمو المجتمع ورفعة شأنه وأمنه طالما بقي الحياء فضيلة يرعى الناس حرماتها.

فايُّ إنسان سوي وصاحب دين يستحي من الظلم.

يستحي أن يظلم في علاقته بمولاه فيشرك في عبوديته أحدًا من خلقه.

ويستحي أن يظلم أبناءه فيوصف بالقسوة، وضياع من

تحت ولايته.

ويستحي أن يظلم غيره فتظل خطيئة الظلم مقترنة باسمه، ويتوارثها بنوه من بعده.

المروءة: وهي فضيلة تدفع صاحبها إلى البذل والعطاء سواء من ماله، أم من جهده، أم من علمه، أم من ثمرات فكره وعقله، أم بتأثير إمكاناته وسلطانه.

والمروءة نمط رفيع من السلوك الإنساني، لا يُمكن أن تنبت أو تُثمر إلا في مناخ من فضيلة الحياء التي تدفع صاحبها إلى أن يكون تعامله مع الله، لا يرجو أحدًا سواه، وأن تتسامى مشاعره، ويقوى الحس الاجتماعي فيه فيعزز صلته به ويرى نفسه جزءًا من كيانه، الأمر الذي لا يتحقق إلا في ظل الإيمان العميق.

وأنا أتصور ما ترويه كتب السير والتاريخ عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه سلوكًا عاليًا من مروءة أهل الحياء:

حيث ألَّت بالمدينة مجاعة، ونقص الغذاء والطعام، وجاءت عيرٌ حافلة بالطعام والغذاء لعثمان رضي الله عنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهرع إليه تجار المدينة كل منهم يريد أن يحظي بامتلاك العير، مستغلًا فرصة المجاعة الملحة، ويبيعها للناس بالسعر الذي يريده وأخذ التجار يزايدون، ويقدمون لعثمان مثلي العير إلى ثلاثة أضعاف إلى أربعة وهكذا وعثمان يقول لهم: غيركم سيعطيني أكثر، فقالوا: والله ما في المدينة تاجر يمكن أن يعطيك مثل ما عرضنا عليك، فقال لهم: إن الله سيعطيني عشرة أمثالها، وتصدق بها على فقراء المسلمين.

هذا التصرف الذي ارتقى إلى أعلى مقاييس المروءة، وتجاوز بكثير طبيعة الشح التي أحضرتها النفس الإنسانية فيه دلالة واضحة على تأصل الحياء في قلب ذي النورين.

النجدة وإجارة المستجير: فالمسلم الحييُّ يُجير من يستجير به، ويستحي أن يقعد عن نصرة ونجدة أخيه المسلم عملاً بقوله سبحانه: ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ ﴾ [الأنفال ٧٢].

القصد والاعتدال: وهما من الفضائل المرتبطة بالحياء كما أن مقابلهما من التبذير والإسراف رذائل ندد بها الإسلام لأن

وجودها يعني فقد الحياء، يقول جل شأنه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

فالآية تشير إلى أمور تستنفر فضيلة الحياء وتحذر من الإسراف والتبذير بقدر ما تؤكد فضيلة القصد والاعتدال.

وذلك مثل تصوير البخيل بمن مُدت يده إلى عنقه ملتصقةً بها.

وكذلك الإشارة إلى ما يلحق البخيل من ملامة، وما يلحق المبذر من حسرة عندما يكتشف ضياع ماله.

وأخيرًا فإن الحياء أكبر عون على الثبات:

نعم إن التحلي بهذا الخلق العظيم من أقوى البواعث، وأعظم الأسباب المؤدية للثبات، إذ الحياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه إلى تحمل المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية، وهذا الاستقباح قدر زائد على استقباح ملاحظة الوعيد، وهو فوقه.

وفوق هذا الحياء حياء يتولد من النظر في علم القُرْب، تحقق القلب بالمعية الخاصة مع الله، فيدعوه إلى ركوب المحبة،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويربطه بروح الأنس، ويُكرِّه إليه ملابسة الخلق.

إذا انجذب الروح والقلب من الكائنات، وعكف على رب البريات فلا يخطر بباله في تلك الحالة سوى الله وحده.. فيا لها من جمعية على الله ما أحلاها!

الحياء من الله عز وجل يجعل العبد لا يضيع فريضة، ولا يرتكب خطيئة، لعلمه أن الله يراه، وأنه لا بد أن يقرره يوم القيامة على ما عمله، فيخجل ويستحي من ربه.

فيا سوأتاه ويا خجلاه من ربه حين يراه لا يثبت على طريقه، ولا يرعى عهده معه، ويجعله أهون الناظرين إليه.

من استحيا من الله حق الحياء: فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، من فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء.

من أراد الله تعالى عمل على إجلال الله وتعظيمه، ورفض جميع ما سواه، استحياءً منه، بحيث لا يرى إلا إياه.

يـــا مـــن يُـــشير إلـــيهمُ المـــتكلمُ

وإلـــــيهم يتوجـــــه المـــــتظلِّمُ

وشـغلتمُ كلمـي بكـم وجـوارحي

وجـــوانحي أبـــدًا تحـــنّ إلـــيكمُ

وإذا نظـرتُ فلـستُ أنظـرُ غـيركمُ

وإذا ســـمعتُ فمـــنكم أو عـــنكمُ

وإذا نطقـت ففـي صـفات جمـالكم

وإذا ســـألتُ الكائنـــات فعـــنكمُ

وإذا رويـتُ فمـن طهـورُ شرابكـم

وبـــذكركم في خلـــوتي أتـــرنَّمْ

والاستحياء من الملائكة.. بإكرامهم وإجلالهم أن يروا العبد متأرجحًا لا يثبت في طريق الله عز وجل، ولا يوفي بحق مولاه وعهده مع ربه، يقول للملائكة على الدوام: أهلًا بملائكة ربي.. لا أعدمكم هذه اللحظة خيرًا.

ويستحي من نفسه أن يراها على الحقير من الأمور.. لا ترعى لله عهدًا ولا تتحلى بجميل ما أمر الله به.

ويستحيي من الناس ومن صالحي الأمة أن يروه بعيدًا عنهم، راغبًا عن طريقهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: الحياء رأس مكارم الأخلاق.

يحفظ العبد حتى خواطره حياءً من الله عز وجل، ويستحي من الله في خلوته، ولا ينظر إلى صغر الخطيئة، ولكن ينظر إلى كبرياء من واجهه بها. ولا يعمل سرًّا يُفتضح به يوم القيامة.

فالحرص.. الحرص -أي المحب للخير- على التخلق بهذا الخلق الكريم لتُحَصِّلَ هذه الثمرات المباركات اليانعات..

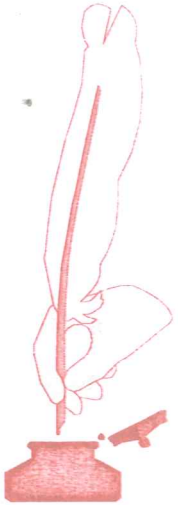

مفاهيم مغلوطة

ابتداءً: الأصل في سلوك الإنسان السوي الذي تحكمه آداب الدين وتقاليد الأعراف النبيلة، وقسمات التربية النبيلة في البيت المسلم.

الأصل في سلوك هذا الصنف من الناس أن يكون الحياء أبرز قسماته في كل ما يأتي، وما يدع، وماأعظم الحياء حين يكون أبرز سمات الرجال .

الحياء ضعف

وحتى لا يختلط الفهم عند بعض محدودي المعرفة حين يظنون «الحياء» إحدى خصائص النساء، وما ينبغي أن تكون للرجال به علاقة تجعلهم أمام الآخرين مظنة الضعف وخور العزيمة..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقول: أن الفرق بين «الحياء» و«الضعف» هو الفرق تمامًا بين «الكمال» و «النقص»، فلا يستشعر «الحياء» إلا من اكتملت شمائله أدبًا وعفة ورزانة، واعتدادًا بالذات وثقةً بسلامة بنائه الأخلاقي.

فهولاء وحدهم الذين يمنعهم «حياؤهم» من الهبوط والتدني إلى منحدرات الآثام والرذائل... لا ضعفًا، ولكن تعففًا وتساميًا وكرامة...

الحياء خجل

إن للحياء معالم -في ظل الإسلام- تمنحه التميز، وتُعطيه القدرة الواسعة على ترشيد السلوك وسموه.

وذلك أن الحياء في الإسلام ليس مجرد الخجل من معايشة موقف يخالف العرف، والتقاليد الإسلامية، ويتنافى مع ما تواضع الناس عليه من سلوكيات ولكنه أوسع من ذلك، وأعمق وأشمل، إذ هو فضيلة تضبط إيقاع السلوك البشري، وتحمل القيم، وتصون الأخلاق، وتصد كل غارة وقحة تستهدف تراثنا المجيد، وموروثاتنا العظيمة، وقد بينا قبل ذلك الفارق بينهما بشيء من التفصيل.

الحياء سلبية...

إن الحياء في الإسلام صفة إيجابية، فلا يعني بحالٍ من الأحوال العجز عن المواجهة أو التخلي عن مهة التقويم والترشيد.

إذن تصور البعض أن الحياء سلبية أو عجز عن المواجهة، بينما يرون أن الجسارة المتجاوزة، واقتحام ما لا يليق من الكلمات أو السلوكيات جرأة تحمد في الرجال، وأن الحياء مجرد خلق أنثوي.. هذا تصور مرفوض.

ذلك لأن الحياء في حقيقته شجاعة تملأ القلب فتمسك بتلابيب النفس حتى لا تنغمس في شهواتها، وتتورط في هواها، وتنطلق تتعدى الحدود، وتحطم القيود..

خطأ يجب تصحيحه.. وهو قولهم: «لا حياء في الدين»..

إن من العجائب في دنيا الناس، والعجائب حجة!!

أن تجد كثيرًا من الناس يتسترون بستار «الحياء» فإذا نظرت إلى حقيقتهم، وفتشت عن أخلاقهم وجدتهم أبعد الناس عن التخلق بهذا الخلق العظيم، (في أقوالهم وأفعالهم وسائر حياتهم).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن أمثلة هؤلاء..

الذين يتجرءون على شرع الله، فيبيحون لأنفسهم فعل ما لا يجوز، وقول ما لا ينبغي بدعوى أنه «لا حياء في الدين»[1].

وهذا لَعَمْرُ الله من البجاحة والوقاحة!!

بل هو قول يُغني فساده عن إفساده، ويُغني بطلانه عن إبطاله، فلا شك في بطلان هذا القول،إذ إن ديننا كله يحض على التحلي بهذا الخلق، ويأمر أتباعه بالتحلي به.

ولقد سبق بيان الأدلة القرآنية والنبوية الدالة على ذلك.

إذن الحياء خلق الإسلام، وهذا يعني سيادة هذه الفضيلة على سائر الفضائل، فهو خير، ولا يأتي إلا بخير.

(١) انتشر بين عموم المسلمين الكثير من الكلمات الخاطئة، والألفاظ الشركية والتي يرددها أكثر المسلمين دون علم لمعاينة، ودون فهم لخطورة دلالتها ومقاصدها، لذا أنصح نفسي وأخي القارئ: بتصحيح ألفاظه والوقوف على معانيها حتى لا تلحق به الأوزار والآثام وهو لا يدري، ولمعرفة ذلك أنصح بمراجعة «أقوال وأفعال واعتقادات خاطئة» للشيخ طلعت زهران، الألفاظ والمناهي الشرعية للشيخ ابن عثيمين، معجم المناهي اللفظية للعلامة بكر أبو زيد.

احذر الحياء المذموم

ابتداءً: لنعلم أنه من الواجب على المسلم اللبيب الفطن أن يجتهد في التفقه في دينه لأن هذا الأمر من أمارات الخير، ومن النعوت الطيبة التي يُمدح بها المرء في دينه ودنياه.

ولكن هل مجرد القراءة المجردة لآياتٍ من كتاب الله والاطلاع على بعض المواطن من سنة رسول الله يُعدُّ فقهًا؟

والجواب: لا يُقال لأحدٍ أنه فقِهَ دينه إلا بالاطلاع على ما جاء في كتاب الله، وما جاء في صحيح سنة رسول الله، وفهم دلالة النصوص ومناطاتها ومقاصدها الشرعية.

لهذا كان من الواجب على كل مسلم راغب في فهم دينه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهمًا صحيحًا أن يتعلم مقدمات النظر في مسائل العلم [1]، وأن يتأكد من سلامة فهمه للمسألة، وأنه لم يعارض بقوله أو فهمه أصلًا من أصول شريعتنا الغراء، أو قولاً معتبرًا من أقوال سلفنا وأشياخنا وأئمتنا المحققين المعتبرين.

وإلا فكم من بلية ابتلينا بها بسبب الفهم المعوج للآيات والأحاديث!.

وكم من التهم ألصقت بالشريعة المطهرة بسبب فساد أفهام بعض حملتها!.

وكم من أحكام ظهرت وانتشرت بين الخلائق، فإذا فتشت عن أصولها في بطون الكتب وجدت أنه لا أصل لها في ديننا الحنيف؟!

(١) كل مسألة علمية يمر النظر فيها على أربعة مقامات، يصل بعدها طالب العلم إلى معرفة الراجح في المسائل المختلف فيها، وهذه المقامات هي: المقام الأول: ثبوت الدليل. المقام الثاني: صحة الاستدلال بالدليل. المقام الثالث: السلامة من الناسخ. المقام الرابع: السلامة من المعارض. هذه المقامات تمر بها أي مسألة يطلب النظر والترجيح فيها، ومن أراد فهم هذا الأمر بتوسع فليراجع بحث «التأصيل في طلب العلم» للشيخ الدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول ص٤٣، ط.دار الإمام أحمد.

قد تقول: وما علاقة ما ذكرت سالفًا بما يُذمُّ من الحياء؟!

والجواب: إن العلاقة بين ما أصَّلْتُه آنفًا، وما عنونت له علاقة وثيقة واضحة جَليَّة لكل ذي عينين، فإذا كنت أؤكد على أهمية فهم الأحكام الشرعية فهمًا صحيحًا، فإني أؤكد كذلك أنه ما وقعت المخالفات، وما زادت النكبات، وما حدثت الخلافات إلا بسبب سوء فهم الأحكام الشرعية، بل وما ظهرت الفرق وما زاغ الزائفون عن الحق، وما تنكب هؤلاء عن الصراط المستقيم إلا بسبب فهمهم للشريعة على وجه غير صحيح.

ولعل من الأمثلة الواقعية الحقيقية الدالة على صدق ما ذكرنا:

أنك قد تجد بعض الناس يرغب عن العلم وطلبه وتحصيله فإذا سألتهم عن ذلك وجدت الجواب ....إنما استحيي!!

وقد تجد بعض الناس يتهاون في حقوقه المادية أو المعنوية، فإذا سألتهم عن ذلك سمعتهم يقولون: نستحي!!

فكم من خير ضاع!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكمن من مصائب حلت بالفرد! وكم من حقوق سلبت! وكم من أموال نهبت! وكم من حرمات انتهكت بدعوى «الحياء».

لهذا أرد على هؤلاء وأقول مستعينًا بالله تعالى:

إن هذا الفهم لمعنى الحياء فهم مقلوب منكوس، فليس ما تفعلونه من جنس الحياء الشرعي المحمود، بل على العكس تمامًا هو حياء مذموم ممقوت، ولقد صدق الشاعر إذ يقول:

وكَمْ من عَائبٍ قولاً صحيحًا
وآفتُهُ مِنْ الفَهْمِ السَّقِيْمِ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وهو -أي الحياء- الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر وهو محمود، وأما ما يقع سببًا لترك أمر شرعي فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي وإنما هو ضعف ومهانة.

لذا قالت عائشة رضي الله عنها: «نعم النساء نساء الأنصار

لم يمنعهن حياؤهن أن يتفقهن في الدين»[1].

وقال القاضي عياض: «إنما جعل الحياء من الإيمان وإن كان غريزة لأنه قد يكون تخلقًا وتكسبًا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم (فهو من الإيمان به)، ولكونه باعثًا على أفعال البر ومانعًا من المعاصي، وأما كون الحياء خيرًا كله ولا يأتي إلا بخير، فقد يشكل على بعض الناس من حيث: أن صاحب الحياء -أي المذموم- قد يستحي أن يواجه من يُجِلُّه فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة.

والجواب: أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحقيقة، وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق...»اهـ.

(١) رواه البخاري تعليقًا (٢٢٨١)، ومسلم (٣٣٢) وفيه دلالة على مشروعية طلب العلم الشرعي للنساء بالضوابط الشرعية المعروفة عند العلماء، كذلك فيه أن الحياء لا يمنع من السؤال عما استشكل على المرء في دينه، وأن من سكت عن مسألة لجعلها بحجة الحياء، فقد أتي من قبل جهله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سُئل بعضهم:

هل كون الحياء من الإيمان مقيدا أو مطلق؟!

فقال: مقيَّد بترك الحياء في المذموم شرعًا، وإلا فعدمه مطلوبٌ في النصح والأمر والنهي الشرعي، فتركه في هذه الأشياء من النعوت الإلهية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾[البقرة: ٢٦]، وقال عز من قائل: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣][1].

على هذا:

فالحياء نوعان

حياء محمود	حياء مذموم
مثاله:	مثاله:
رجلٌ هَمَّ بفاحشة فيمنعه حياؤه من اجتراحها.	إذا أتى بشرٍّ على صاحبه،
رجل يعتدى عليه سفيه فيمنعه حياؤه من مقابلة السيئة بالسيئة.	أو ترتب عليه كتمان حق،
	أو انتهاك حرمة.

(١) فيض القدير: (٣/ ٤٢٧-٤٢٨).

قال الحسن رحمه الله: «حياء الرجل في غير موضعه ضعف».

لهذا ترى أيها المتأمل أن الإسلام أسقط اعتبار الحياء في بعض المواضع مع تعظيم هذا الخلق الكريم، لما يترتب على الاستحياء فيها من الشر، أو تضييع الحقوق، أو انتهاك حرمات الله.

وبما أن المسلم قدوته وأسوته هو رسول الله ﷺ، فإنه يلزمه أن ينظر في سيرة النبي ﷺ وفي أحواله ﷺ من خُلق وهدي وأقوال وأفعال، ثم يعمل جاهدًا على تطبيق هذه السنن سواء كانت في حياته العلمية أو العملية.

قال القرطبي رحمه الله: «وقد كان المصطفى ﷺ يأخذ نفسه بالحياء، ويأمر به، ويحث عليه، ومع ذلك فلا يمنعه الحياء من حق يقوله، أو أمر ديني يفعله تمسكًا بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ وهذا هو نهاية الحياء وكماله وحسنه واعتداله، فإن من فَرُطَ الحياء عليه فمنعه من الحق، وبهذا يكون قد فقد الحياء من الخالق، واستحيا من الخلق، ومن كان هكذا حُرم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منافع الحياء، واتصف بالنفاق والرياء»[1].

ومن المجالات التي ينبغي ترشيد الحياء فيها

١- طلب العلم والتعليم.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- الجهر بالحق.

٤- الفتيا بلا أدري.

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

عن سعيد بن المسيب أن أبا موسى قال لعائشة: «إني أُريد أن أسألكِ وأنا أستحيي مِنْكِ، فقالت: سَلْ ولا تستحي فإنما أنا أمك، فسألها عن الرجل يغشى ولا ينزل، فقالت عن النبي ﷺ: «إذا أصاب الختان الختان فقد وجب الغسل»[2].

وهذا إن دلَّ فإنما يدلك على أن النبي ﷺ كان يُعلم الناس أدق الأمور من غير خورٍ أو ضعف أو تقصير.

وعن زينب ابنة أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى رسول

(١) نقله عنه المناوي راجع (فيض القدير) (١/ ٤٨٧).

(٢) رواه مسلم (٣٤٩)، وأحمد (٦/ ٩٧) والترمذي (١٠٨).

الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إنَّ الله لا يستحيي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ قال النبي ﷺ: «نعم إذا رأت الماء»، فغطت أم سلمة -تعني وجهها- وقالت: يا رسول الله: أو تحتلم المرأة؟ قال:« نعم، تَرِبَتْ يمينك، ففيمَ يُشبهها الولد»[1].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال:جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إنَّا كنا بالبادية فتخرج من أحدنا الرويحة فقال رسول الله ﷺ: « إن الله لا يستحي من الحق، إذا فعل أحدكم فليتوضأ، ولا تأتوا النساء في أعجازهن -أو قال: أدبارهن-»[2].

وأمر رسول الله ﷺ بالصدع والجهر بالحق، وتغيير المنكرات بلا حياء وخوف من تقريع المبطلين، فعن أبي سعيد

(١) رواه البخاري (١/ ٢٨٨-٢٢٩)، ومسلم (٣١٣). وننصح بمراجعة فقه هذه المسألة في كتاب «جامع أحكام النساء» للشيخ مصطفى بن العدوي (٤/ ٦٢٢) ط.دار ابن عفان.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٦٥٣)، وقال العلامة أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه»[1].

وثبت أنه ﷺ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها وهو لنا في ذلك قدوة وكان لا يقوم دون غضبه شيء إذا انتهكت محارم الله.

٤- **الفتيا بلا أدري**: إن الفتيا في دين الله من أعظم المسئوليات الشرعية، ولا يتولاها إلا من علت رتبته في العلوم، وشهد له أهل العلم بأنه أهلٌ لذلك، والفتيا بغير علم مصيبة المصائب، فهي ضلال وإضلال، لهذا كان من الواجب أن نسكت فيما لا نحسنه، وقد قالوا قديمًا: «من أخطأ لا أدري أصيبت مقاتله»[2].

ولقد سطر القرآن على لسان الملائكة قولتهم الخالدة: ﴿ لَا

(١)رواه ابن ماجه (٤٠٠٧)، وأحمد (٣/ ١٩)، والحاكم (٤/ ٥٠٦)، وصححه شيخنا الألباني في الصحيحة (١٦٨).

(٢)وقد عقد ابن عبد البر رحمه الله في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» بابًا سماه: ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم راجع (٢/ ٤٩).

عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة:]

كذلك ضرب النبي ﷺ وصحبه الكرام أروع الأمثلة في هذا الباب، فلقد كان النبي ﷺ يُسأل عن أشياء فيدع الجواب عنها حتى يأتيه الوحي، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ٢١٥]

وعن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال[1]: «يا أيها الناس اتقوا الله من عَلِمَ منكم شيئًا فليقل بما يعلم، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾»[2].

وكان كثير من الصحب الكرام ومن تبعهم على هذا النحو ومن أمثلتهم: **أبو بكر**، و**عمر**، و**عبد الله بن عمر**، و**سالم بن عبد الله بن عمر**، وغيرهم كثير.

(١)رواه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢)ص:٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حياء يرفضه الإسلام

والنصوص الواردة التي أشرنا إليها آنفًا، تكشف الدور الكبير لهذه الفضيلة، إذا كانت على النحو الصحيح.

ومن المرفوض إسلاميًّا أن تُوظَّفَ هذه الفضيلة الشريفة توظيفًا غير سديد كأن يستحي المسلم من الجهر بكلمة الحق، أو يسكت في موقف للرد فيه مقال، أو تتضاءل شخصية المسلم بحياء يسوقه إلى الجهل، أو إلى السلبية الممقوتة.

بل قد يستخف الشيطان بالإنسان بدعوى «الحياء».

مثال ذلك: ما قد يقع من بعض خَرَعات النساء: يعرض لها فاجر في خلوة يحاول استكراهها فتنقبض نفسها عن أن تستغيث وتصرخ، لأنها تستقبح أن يشيع عنها أن فاجرًا تعرض لها، ولو عقلت لعلمت أن شيوع ذلك ليس بقبيح إذا

اقترن بإبائها عن الفاحشة، والناس يُثنون عليها بالعفة والحزم والثبات إذا سمعوا أنها انتهرته وصرخت بأهلها فجاءوا ودفعوه» اهـ[1].

فاحرص أخي على فهم دينك فهمًا صحيحًا، والعمل به عملًا رشيدًا سديدًا، وكن أمَّارًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر من غير حياء مصطنع، أو ورع باهت فاسد، وأقدم على قول الحق والصدع به من غير خوف أو ضعف أو خور.

ومن صور الحياء المذموم أيضًا:

مصافحة المرأة الأجنبية للرجل الأجنبي بدعوى «الحياء» مع أن هذا منهي عنه شرعًا[2].

أن يقرض رجل رجلًا آخر شيئًا من المال وهو لا يثق بأمانته، ومع ذلك يستحي من كتابة هذا الدين، فتكون العاقبة تبديد هذا المال، وضياعه.

(١) راجع فضل الله الصمد (٢/ ٦٩١، ٦٩٢).

(٢) راجع رسالة «أدلة تحريم مصافحة المرأة الأجنبية» د/ محمد إسماعيل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما يقابل الحياء

الوقاحة: وهي صفةٌ مذمومة لأنها تحمل صاحبها على الانغماس في الشر، وعدم المبالغة فيما يلحقه من الذم أو اللوم حتى يصل به الحال إلى المجاهرة بالإثم.

وهؤلاء سلبوا الحياء بنوعيه المكتسب والغريزي هم الأدنى منزلة، والفارغون إيمانًا، فهم الذين لاخلاق لهم، ولا ديانة لديهم..

وحسبنا للفصل في الأمر ذلك الميزان العادل الذي وضعه بين أيدينا نبينا ﷺ صاحب الكلمة الهادية والباقية إذ يقول: «**إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**».

ولهذا أعطانا معيارًا نتعرف به على السلوكيات الشاذة لكل

من لا حياء لديهم من الرجال والنساء الذين أسوق بعض نماذجهم لنرى أي منحدر سلوكي يصنعه الناس عند فقدانهم الحياء، حيث تراهم شذاذًا فيما يأتون وما يدعون، سادرين في غفلتهم كالأنعام بل هم أضل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

نماذج شاذة

وأول نماذج هذا الصنف رجل شاء الله أن يمكن له في الأرض عسى أن يعمرها شاكرًا لأنعم الله عليه، فإذا هو يمضي طاغية كفرعون، يملك على الناس قلوبهم وعقولهم وألسنتهم.

ولأنه فقد حياءه من الله فلم يَعُدْ يعنيه من أمر الناس شيءٌ بعد أن كمَّم الأفواه، وشد على الأيدي وعلى الأرجل الوثاق، وحوَّل المجتمع كله إلى شخوص كالتماثيل، لا تملك من أمرها ولا من أمر أمنها شيئًا ولا حتى القدرة على صراخ الاستنكار.

فأين هذا من نموذج «الإمام العادل» الذي يستحي من الله حق الحياء فيقوده الحياء إلى الخشية وتقوده الخشية إلى السير في

أحوال عباد الله بما أمر الله.

النموذج الثاني ممن لا خلاق لهم فهو الرجل الذي فقد ظله، ولم يبق لديه من قسمات الرجولة ما يخاف عليه فمضى في الناس كالحيوان الأعجم يقضي في طرق الناس حاجته، ويكشف لهم سوأته فمثله كمثل الكلاب ينزو بعضها على بعض في الطريق.

وعندما يبلغ الإنسان هذا الدرك من فقدان الحياء.. فماذا يبقى له من صفات الإنسانية؟!

ألا: ما أقذر هذا الصنف من البشر الذين لا يستحون حتى من سوءاتهم فيعرضونها على الناس متوقحين يزعمون أن بعض حق الإنسان أن يختار لنفسه ما يشاء حتى أن يكون ذكرًا أو يكون أنثى أو ما بينهما... **فلا نامت أعين الفساق والسفهاء!!**

أما الصنف الثالث: فربما كان رجلًا أو كانت أنثى فقدت عذريتها في الحرام فلم يعد لديها، ولم يعد لديه ما يستحي منه أو يحاول ستره، فانهارت في سلوكها كل الحواجز الأخلاقية،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فمضت تعرض لكل عابر سبيل...

ولا يفهم من ذلك: أنني أقنط الناس من روح الله ورحمته، أبدًا أبدًا..

لأن الخطيئة واردة في سلوكيات البشر عندما تورطهم فيها جهالات المال، أو الولد أو السلطة، أو نزوات الجنس، ولكن عليهم أن يتوبوا لتمحو التوبة آثار الخطيئة، وتبيض صفحاتهم..

لكن المأساة أن يخطئ الإنسان، وبدلًا من أن يتوب يُفاخر بخطيئته وضلالاته غيره من الناس، وكأنه أحرز بطولة يُحمد عليها، فلا يكتفي بخزي معصيته محاولًا أن يستر كرامته أمام مجتمعه، بل نرى فقد الحياء يدفعه إلى مستوى رديء من الوقاحة حتى يسمح لنفسه بالمجاهرة بضلالة ارتكبها وستر الله عليه.

والحق أن قائمة الذين لاخلاق لهم، ولا حياة فيهم طويلة:

يتصدرها : شهود الزور، والمجترئون على الله، ومن باعوا دينهم بدنياهم، ومن باعوه بدنيا غيرهم فخسروا الآخرة والأولى.

ويتصدرها كذلك: الأفاكون والمنافقون، وأصحاب الوجوه القُلّب، والمتمدحون بما ليس فيهم، والمخادعون لأهل الإيمان، والذين في قلوبهم مرض.. وكثيرون.. وكثيرون. ممن فقدوا الحياء، وعدموا الضمير، وفقدوا الحلم، فانعكست في نفوسهم القيم، واختلت الموازين، واضطربت المعايير.

وما أكثر الذين ران التبجح على قلوبهم، وجمدت أعينهم، فأصبحوا لا يتأثرون بنقد، ولا يحفلون بملام، ولا يبالون بثناء أو هجاء، ولا يهتمون بحلال أوحرام، وكأنهم في هذه الدنيا مخلدون، وعلى ربهم لا يعرضون، وعن أقوالهم وأفعالهم يوم القيامة لا يسألون، ولا يحاسبون، ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

وكل هؤلاء من الوقحين هم شرار الخلق عند ربك، وهم حطب جهنم- ما لم يتوبوا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عظمة السلف وعورة الخلف

لم يعد خافيًا على كل مسلم يريد لنفسه النجاة في الدنيا والآخرة أن التزام الكتاب والسنة بفهم سلفة الأمة هو سفينة النجاة.

«السلف الصالح» مصطلح يُقصدّ به القرون المفضلة بقيادة النبي ﷺ ومن بعده صحابته والتابعون لهم بإحسان، ولو رجعنا إلى سيرة سلفنا الصالح لوجدناها خير مثال للمنهج المتكامل تصورًا قولًا وعملاً واعتقادًا، وسلوكًا وأخلاقًا.

ومما يؤيد أهمية الأخلاق عامة وخلق الحياء خاصة عند سلفنا الصالح تضمين علمائهم هذه الجوانب فيما كتبوه من أصول أهل السنة والجماعة. كالعقيدة ا الواسطية، والعقيدة

الطحاوية، وغيرها ومن أمثلة ذلك: قول أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني في تقريره لعقيدة السلف حيث قال: «وهم يهتمون بأمور المسلمين في المأكل والمشرب والملبس والمنكح، والمصرف، ويجتهدون في السعي في الخيرات، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبادرون إلى فعل الخيرات أجمع، وتقاء شر عاقبة الطمع، ويتواصون بالحق والصبر»[1].

وكذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية مثل ذلك بعد تقريره لمعتقد أهل السنة في العقيدة الواسطية[2].

فمن سبر أدب السلف وخلقهم أي حَرزَهُ، وتعرَّف عمقه من كتب الحديث والسير والتراجم والتاريخ والأدب وكان له حسٌ مرهف، حيث كان الواحد منهم (بسبب حياءه وأدبه) يألف من غيرهم في هذا العالم.

ولا عجب في أن يكون حال أمثالهم من أهل الحياء بتلك

(١) راجع عقيدة السلف وأصحاب الحديث للإمام الصابوني تحقيق شيخنا مجدي بن عرفات الأثري، ص١٠٢، ط.دار الألباني للتراث.

(٢) راجع شرح العقيدة الواسطية، ص١٥٥، ص١٥٦، ط.إدارة إحياء السنة- باكستان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المثابة، فقد قال أحدهم: من تأدب بآداب الله صار من أهل محبته، وقال آخر: العبد يصل بطاعة الله إلى الجنة، ويصل بأدبه في طاعته إلى الله.

ومع محبة الناس قاطبة لأسلافهم إلا أنه قلَّ من يُعنى بأخبارهم التي تُزكي القلوب، وتشحذ الهمم وتصقلها، وتبعث الأمل في أن يكون خلف الأمة كماضيها.

لهذا جمعت لك -أخي الكريم-

هذه النماذج اليسيرة من أقوال سلفنا عن الحياء حتى تعلم فضل هذا الخلق عند هؤلاء الكرام باعتباره في مقدمة الأخلاق الفاضلة.

قال إياس بن قرة: «كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر عنده الحياء فقالوا: الحياء من الدين فقال عمر: بل هو الدين كله»[1].

قال الحسن: «أربع من كن فيه كان كاملًا، من تعلَّق قلبه

(١) وقفت على تضعيف الشيخ الألباني للفظ: «الحياء الدين كله» فلا يصح. مرفوعًا راجع ضعيف الجامع برقم (٢٨٠٩).

بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دين يُرشده، وعقل يُسدده، وحسبٌ يصونه، وحياءٌ يقوده»[1].

وقال الجرَّاح بن عبد الله الحكمي: «تركت الذنوب حياء من الله أربعين سنة ثم أدركني الورع».

وقال ابن سمعون: «رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة فاستحالت ديانة»[2].

وقال الفضيل بن عياض: «خمس من علامات الشهوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل».

وقال يحيى بن معاذ: «من استحيا من الله مطيعًا، استحيا الله منه وهو مذنب»[3].

قال أحمد رحمه الله: «لولا الحياء لمات القلب، وما ذاق حلاوة الإيمان»[4].

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٧).
(٢) الإيمان لابن رجب، ص١٠٩.
(٣) راجع المدارج (٢/ ٢٧١).
(٤) الواعظ الحثيث ص١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال وهب بن منبه: «الإيمان عريان، ولباسه الحياء، وزينته التقوى».

ولعلك أخي القارئ تشاركني في أن كلام السلف يختلف عن كلامنا، فإن لإخلاص المتكلم قوة عظيمة في النص، وتأثيرًا عظيمًا في القلوب..

وقد قيل لحمدون بن أحمد «ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس، ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس، وطلب الدنيا ورضا الخلق»[1].

فهل أثر فينا كلام السلف البلغاء، لنعمل عمل السلف الأتقياء؟!

كذلك فلقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة وأرقاها في تحقيق هذا الخلق الحسن، فكانوا قدواتٍ يحتذى بها، ومصابيح يُستضاء بها، ومعينًا صافيًا يُنهل منه، وذلك امتثالًا منهم وتأكيدًا للمعاني السامية الرفيعة التي دعا إليها القرآن،

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٠٩).

والمثل العليا التي تمتها السنة النبوية...

فعلى سبيل المثال

تذكر لنا كتب التاريخ والأخبار والتراجم أن سالم بن عبد الله بن عمر كان يطوف بالكعبة ومعه أحد خلفاء بني أمية من أبناء عبد الملك، وعندما رأى سالمًا، أقبل عليه واحتفى به لمكانته ومكانة أبيه وجده في الإسلام، فقال له الخليفة: ألك حاجة؟! فأجاب سالم قائلًا: إني لأستحي أن أسأل غير الله وأنا في ملكه!!

فانظر أخي الحبيب إلى أدب هؤلاء مع ربهم، ومدى حيائهم منه سبحانه.

حقًا إن من سَبر أدب السلف وخلقهم قال: رحم الله السلف، لقد كانونا هم الناس.

والسؤال الآن: أين نحن من أخلاق السلف؟!

إن المتأمل في حياة المسلمين يلحظ بونًا شاسعًا وانفصالاً كبيرًا بين الجانب العلمي النظري والجانب العملي السلوكي والأخلاقي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا هو حال كثير من الناس اليوم، الذين لم يحفظوا للعم رسومه، ولا للإسلام خصائصه، ومن أجلِّ خصائصه العظمى الحياء مع الله، والحياء مع رسوله، ومع الخلق جميعًا.

ولعل السبب في ذلك: انفكاك الخلف عن السلف، ببعدهم عن الاطلاع على أحوالهم وأخلاقهم وسيرتهم التي كانت صفحة بيضاء في جبين الإسلام.

وتحوَّل الخلف إلى أقوام يقولون ولا يفعلون، وبعضهم صار لا يقولون ولا يفعلون.

وكلَّما بَعُدَ البون بين الخلف والسلف، واختلف الأدب عن الأدب والخُلق عن الخُلق؛ ظن من سَبَرَ أدبهم وأخلاقهم أنها كانت أحلامًا.

وبهذه القناعة التي صارت موجودة عند جماهير الناس تحوَّل التدين عند جهلة المتدينين إلى مجرد محاكاة للسلف في تطهير الثياب، بينما القلوب ملأى بالأقذار والأكدار.

وجارى هؤلاء السلف في أداء صور العبادات، وإن كانوا لا ينتهون عن فحشاء، ولا عن منكر.

وحاولوا التشبه بعمر رضي الله عنه في ترقيع الثياب، وإن كانوا أحرص على الدنيا من صيارفة اليهود، فتحولوا إلى قلوب دنسة في ثياب نقية. ولا حول ولا قوة إلا بالله!!

ولعل من أبرز الأسباب المؤدية لذلك: هو الخلل في طرح المنهج بصورة غير متكاملة، فمن اللازم عند طرح منهج السلف أن يُطرح طرحًا شاملاً لمعتقدهم وفقههم، ولسلوكهم وأخلاقهم، فكما لا يُقبل من أحد أن يلتزم بأخلاق السلف ويترك معتقدهم، فكذلك لا يسوغ فهم معتقدهم دون الالتزام بسلوكهم وأخلاقهم.

ثم علينا أن نطالع سيرهم، ونقرأ في كتبهم لنعيش معهم بأرواحنا، ونراهم بآذاننا.

فإذا ما تم لنا إدراك هذا الأمر والالتزام به سوف تختفي من حياتنا بإذن الله تلك الصور والمواقف المتناقضة أو بعبارة أوضح: إن تطبيق هذا المنهج كاملاً كفيل بإزالة هذه الازدواجية التي نعاني منها حاليًا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتمسكوا -رحمكم الله- بأدبهم، وإن اختلف زمانكم عن زمانهم، فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ماذا لو ضاع الحياء؟!

إن العرب في تعبيراتهم الحكيمة عندما تُعبر عن الدرة المتميزة في عقدٍ من الجواهر الثمينة والأحجار الكريمة تقول: إنها واسطة العقد، وأستعير هذا التعبير لأصف موقع الحياء في محط الأخلاق الإسلامية، فهو درة أخلاق الإسلام، وهو صمام أمن وأمان إذا سقطت حبته تتابعت الحبات الأخلاقية في التهاوي والسقوط مما يؤذن بانهيار وشيك لأي مجتمع يغرب من ساحته خلق الحياء.

وخير مثال على ذلك دول الغرب: حيث بلغت الحضارة الأوربية غاية التقدم التكنولوجي، وفشلت تمامًا إنسانيًا، وانتكست في وهدة التردي الأخلاقي، وشاعت فيه العلاقة الجنسية والإباحية المهينة.

وانحلَّت عرى الأسرة، وضاع الأولاد في حياتهم المادية المجردة من كل ما يقوم بالروح.

وكان مرجع ذلك كله أنها فقدت حياءها، ولم يعد لهذه الفضيلة سلطان بين أخلاقياتها التي أصبحت تحكمها المصلحة، ويمسك بزمامها الأهواء الضالة.

وهنا ظهرت معالم السموِّ في الحضارة الإسلامية، حيث أصبحت هي المعبرة فعلاً عن الإنسان الذي استخلفه الله على الأرض ليعمرها، ويقيم فيها موازين الحق والعدل.

وإذا أردنا تعبيرًا موجزًا عن سبب تحضر المسلمين يمكننا أن نقول بكلِّ ثقة واعتزاز: لأن الإسلام دين الحياء، وحضارته -في لحمتها وسداها- حضارة الحياء.

إذن فالحياء هو الرباط الوثيق للعقد الأخلاقي، وهو القائد لأمة الإسلام نحو التقدم في الدين والدنيا.

فإذا وَهَى هذا الرباط أو افتقد ضاعت الأخلاق.

وإذا أُصـــيبَ القَـــومُ في أخلاقِهِـــم

فَـــأقِمْ علـــيْهم مأتمًـــا وعـــويلاً

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعود فأقول:

ماذا لو ضاع الحياء؟!

إذا افتقدت الأمة فضيلة الحياء فلن تقوم قائمة الأخلاق بعامة، ولن تجد في سلوكيات الأمة أي فضيلة من الفضائل التي يُمجِّدها البشر، ويتنافسون على التحلِّي بها.

إن سلطان الحياء هو أكبر سلطة ذاتية موجهة، حينما تفقد من أفراد الأمة فمعناه: تدهور الحالة الاجتماعية حيث لا أمن على الأموال ولا على الأعراض هذا على المستوى العام

أما على المستوى الفردي فإذا افتقد الإنسان الحياء تدرج من سيِّئ إلى أسوأ وهبط من رذيلة إلى أرذل منها، ولا يزال يهوي حتى ينحدر إلى الدرك الأسفل.

يقول الإمام البغوي رحمه الله في تعليقه على قوله ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت» يريد من لم يصحبه الحياء صَنَعَ ما شاء من ارتكاب الفواحش ومقارفة القبائح، فلما كان الحياء سببًا يمنعه عن المعاصي كالإيمان عُدَّ الحياء من شعب الإيمان، إن لم يكن أمرًا مكتسبًا[١].

وقال الماوردي: «وليس لمن سُلِبَ الحياء صادٌّ عن قبيح، ولا زاجر عن محظور»[٢].

وقال ابن القيم وهو يُعَدِّد عقوبات الذنوب والمعاصي: «إن من عقوباتها: ذهاب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه، والذنوب تُضعف الحياء في العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى ربما أنه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه»[٣].

(١) شرح السنة للإمام البغوي (١/ ٣٥-٣٦).
(٢) نقلاً عن أدب الدنيا والدين، ص٢٤٠.
(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن سفيان بن عيينة قال: قال يحيى بن جعدة: (إذا رأيت الرجل قليل الحياء فاعلم أنه مدخول في نسبه).

وقال ابن القيم رحمه الله: إن الله تعالى لا يغيب نظره عن عبده، فإذا ما غاب نظر العبد عن كون المولى ناظرًا إليه تولَّد من ذلك قلة الحياء والقِحَةُ، هذا ولاستقباح الجناية الناشئ عن الحياء درجتان أخريان، دنيا وهي: الاستقباح الحاصل عن ملاحظة الوعيد، وعليا: وهي الاستقباح الحاصل عن المحبة[1].

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «إن الله إذا أراد بعبد هلاكًا نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتًا ممقتًا، فإذا كان مقيتًا نزع منه الأمانة فلم تلقه إلا خائنًا مخونًا، فإذا كان خائنًا مخونًا نزع منه الرحمة فلم تلقه إلا فظًّا غليظًا، فإذا كان فظًّا غليظًا نزع ربقة الإيمان من عنقه، فإذا نزع ربقة الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطانًا لعينًا»[2]. فليحذر كل منا من انتزاع

(١) نقلًا عن المدارج (٢/ ٢٧٥).

(٢) جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب، ص١٩٠، وانظر الأدب المفرد للإمام البخاري، ص٤٣١.

الحياء منه بكثرة ذنوبه، بل وليحرص على التحلي بالأخلاق القويمة الحسنة.

وأخيرًا: أنصح أخي القارئ بما نصح به ابن حبان البستي حيث قال: (الواجب على العاقل لزوم الحياء، لأنه أصل العقل، وبذر الخير، وتركه أصل الجهل، وبذر الشر، والحياء يدل على العقل، كما أن عدمه دال على الجهل، ومن لم ينصف الناس منه حياؤه لم ينصفه منهم.

وصدق محمد بن عبد الله البغدادي حين قال:

إِذا قَلَّ مَاءُ الوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ
فَلا خَيْرَ فِي وَجْهٍ إِذا قَلَّ مَاؤُهُ
حَيَاؤُكَ فاحْفَظْهُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
يَدُلُّ عَلَى وَجْهِ الْكَرِيمِ حَيَاؤُهُ[1]

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص٥٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أسباب ضياع الحياء

أولاً: اجتهاد الأعداء في طمس معالم الفطرة السويّة:

سبق أن أشرنا إلى أن الحياء ينقسم إلى نوعين: أحدهما: مكتسب، و الآخر وهو الأهم: جبلي وفطري.

لذا حرص أعداؤنا غاية الحرص على تضييع معالم هذا الخلق الكريم، وعلموا أن أشد ما يغتال هذه الفضيلة في السلوك الإنساني طمس معالم الفطرة التي هي وثاق للقيم الإنسانية وبالتالي تحصل الاستجابة الفورية لنداء الحيوانية، وإرضاء الشهوة البهيميَّة استنادًا لفهم خاطئ لقيمة الحرية التي هي أساس تكريم الإنسان وتميزه، وهذا هو سر الانحدار الأخلاقي في الحضارة الغربية التي سَوَّغَتْ للإنسان كل صور

التهاوي والسقوط، الأمر الذي يُشعِرُ بالغياب الكامل لهذه القيمة العالية.

ولشديد الأسف استجاب الكثير من أبناء أمتنا لنداء هؤلاء، وصدَّقوا شعاراتهم الخادعة البراقة والتي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب والخراب.

وكانت النتيجة أن انتكست الفطرة حتى وجدنا من يُحاكي الغربيين وقد تخلى عن الحياء الغريزي الفطري الذي جَبَلَ الله عليه الخلق، وتحوَّل إلى آلة مجردة من الشعور.

وسمعنا عمن خرج إلى الشوارع بلا حياء وقد لبس ما يُسمى بـ«المايوه»، أو لبس ما يُعرف «بالشورت».

ورأينا آلاف الفتيات قد خرجن إلى الشوارع والطرقات بهذا الزي الشفاف الضيق شبه العاري.

وقرأنا عمَّنْ يخرجون إلى الشواطئ وهم عراة تمامًا كما ولدتهم أمهاتهم.

وسمعنا عمَّن يأتي امرأته أمام أعين الخلق بلا أدنى خجل أو وجل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد انتكست الفطر السوية، حتى أن بعض بني الإنسان فعلوا ما تستحي الحيوانات من فعله.

لقد قرأنا أن هناك في دنيا الحيوانات (كالبعير والإبل) أنه لا يمكن أن يُقبل الذكر على الأنثى إن شعرا أن عينًا ما تراقبهما.

ولك أن تتخيل أن هذا الأمر جبلة وفطرة في الحيوانات العجماوات، فكيف تتصور أن تنتكس فطرة الإنسان إلى هذا الحد السيء؟! وكيف يُستوعب أن تنقلب الأمور في حياة بني البشر إلى هذا الدرك السحيق؟!

تخيل -عبد الله-

أن الحياء الجبلي (لا المكتسب) صار عملة نادرة، لقد ضاع عند أكثر الناس -إلا من رحم ربي- وإلى الله المشتكى!!

يا للعار!! يا للأسف!!

أكل هذا يحدث في بلاد تزعم أن دينها الرسمي هو الإسلام؟!

وبعد هذا العرض الواقعي المرِّ نقول:

إذا كان الحياء فضيلة فطرية عاشت مع الإنسان منذ وجد على هذه الأرض فإن هذه الفضيلة تستمر في الإنسان مع مسيرته على هذه الأرض حتى تتحول إلى باعث يحرك النفس إليها.

بشرط أن تحتفظ الفطرة بصفائها، ونقائها دون أن تتأثر بمتغيرات البيئة، وانحرافات الأسرة، وضلالات الواقع المتردي، والتقليد الأعمى ليظل لها عطاؤها الأخلاقي، وخاصة الحياء الذي اختص به البشر من بين الكائنات التي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تشاركهم الحياة على الأرض، وبهذه الفضيلة اتسعت الحركة الحضارية، وتسامت.

ثانيًا: الاغترار بما عليه الكثرة من المسلمين من سوء للأخلاق وشدة تفريط أو إفراط في أمور الشرع الحنيف: بل إن كثيرًا من الخلق يَعُدُّ بعض الأخلاق الذميمة المنهي عنها «أنها ذكاء اجتماعي» والبعض يعتبرونها عرفًا تعارف عليه الناس وأقروه، وهذا ناتج عن انتشار الجهل المركب[1] بين عموم الخلق إلا ما رحم ربي.

ثالثًا: ومن أسبابه أيضًا ما تقوم به وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة من إثارة للغرائز وتحريك للساكن لدى الشباب المسلم كالأغاني المثيرة والمستفزة للغرائز والتي يسمونها

(١) الجهل: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، وهو على نوعين:

جهل بسيط	وجهل مركب
عدم العلم عما من شأنه أن يكون علمًا.	وهو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع.

راجع «التفريعات» للجرجاني، ص١٠٨، ط.دار الريان للتراث، وراجع المفردات للراغب الأصفهاني، ص١٠٩، ط.مكتبة التوفيقية.

«الفيديو كليب» ناهيك عما يحدث من وقاحة جلية [وخروج عن طور الدين والحياء، وخروج عن عرف المؤمنين الصالحين، وخروج عن الإطار العام للأخلاقيات التي اتفق عليها الفضلاء من البشر] عن طريق الرقص والخلاعة، يتمثل ذلك في تمايل الفتيات الساقطات في الإعلانات التلفزيونية بطريقة قذرة، وظهور أرباب الفسوق والمجون في الأفلام والمسلسلات، بل وتقديمهم كقدوة للجيل المسلم من الشباب، فكانت النتيجة أن خرج ونشأ جيل من الشباب المسلم لا يعرف الصلة بالله الخالق ولا يريد أن يعرفها، وخرج جيل يغلب عليه الطابع الشهواني من عبودية «للنساء، للمال، للشهرة، لحب الظهور، للتقليد.. إلخ»- إلا من رحم ربي-.

رابعًا: ومن أسباب ضياع الحياء: التقليد الأعمى للكفار في الملبس والمأكل والمشرب بل في كثير من نواحي الحياة: حتى إن كثيرًا من هؤلاء يحاكي الغربيين في طريقة المشية والجلسة وطريقة الخطاب، فأخذ شبابنا كل ما عند هؤلاء من سقوط وفساد وإفساد [بحجة أن هذا هو الذي يتماشى مع المدنية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحضارة الحديثة والموضة] فكانت النتيجة: ما تراه من انتشارٍ عريضٍ للفساد، والذي ظهرت آثاره على المجتمعات المسلمة، ولمسنا إفسادًا متعمدًا للأذواق والأخلاق، وشاهدنا وقرأنا أخبارًا واقعيَّة عن انتشار الشذوذ الجنسي [من لواط وسحاق]، وانتشارٍ للفاحشة [كالزنا وظهور الهَرَج والذبح والقتل بين المسلمين عامة، وبين شبابنا في المدارس والجامعات خاصة، بل وتعاطي الشباب من الجنسين المسكرات والمخدرات بكل أشكالها وصورها- ولا حول ولا قوة إلا بالله-.

ولم يكتفوا بذلك بل رفعوا الشعارات الخدَّاعة والدعايات البرَّاقة التي جرفت بين طياتها الشيوخ والشباب، والتي تنادي باتخاذ الغرب أسوة وقدوة في كثير من أمور الحياة، ثم بعد أن نجحوا في إفساد أكثر الأمة وإغراقها في مستنقع الرذيلة إلا ما رحم ربي اتجهوا بمخططاتهم للقضاء على بقية الرمق من الصالحين بحجة مسايرة التقدم الغربي والتحرر من الأفكار والأخلاق المختلفة، ولكن هيهات... هيهات.

ولقد حَذَّرَ النبي ﷺ الأمة عامة وشباب المسلمين خاصة من مشابهة العصاة والفجار في أفعالهم وأقوالهم حتى لا يعاقبنا الله بمثل ما عاقبهم.. فقال ﷺ: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر ولولا البهائم لم يُمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سَلَّطَ الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم»[1].

خامسًا: ومن أسباب ضياع الحياء الغزو الثقافي والفكري وضعف المناهج التربوية والتعليمية: فإنه من المعلوم لكل بصير فَطِن أن الأمة المسلمة محاربة من قبل أعدائها، ولا يظن ظانٌّ أنها

(١) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٣٣-٣٣٤)، وحسنه الشيخ الألباني وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٦)، السنين جمع سنة: أي جدب وقحط، يتخيروا: أي يطلبوا الخير مما أنزل الله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حرب سلاح وفتوة وقوة جسدية فحسب بل هناك حروب هي أعظم فتكًا وضررًا بالمسلمين من حروب السلاح، فهناك ما يسمى بـ«الغزو الثقافي والفكري» والذي يمتد لمسخ الشخصيَّة المسلمة وتذويب الهوية الإسلامية في بوتقة الغرب[1] وهو ما يسمى في عصرنا بـ(حرب الهوية أو العولمة) والتي قال غير واحد من علماء الاقتصاد الإسلامي في تعريفها أنها تعني: اتباع الغرب، وعَرَّفَهَا آخرون بأنها (التأمرك)، ومن ضمن مخططاتهم التي يغلفونها بغلاف(العولمة، وأن العالم هو قرية صغيرة) بينما هدفهم من ذلك هو نشر نوع معين من الأفكار والشعارات والأخلاقيات الفاسدة التي تتماشى وأهدافهم ومآربهم، وذلك عن طريق ما يُسمَّى بـ(الستالايت).

(١) أنصح بمراجعة كتاب «الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها» للشيخ عبد القادر بن محمد صوفي، ط.مكتبة العلوم والحكم.

ولهذا حذَّر من خطر هذا الجهاز جماعة من أهل العلم كشيخنا الطود الشامخ الشيخ ابن باز، وأصدر فتوى بصدد هذا الأمر، والشيخ صالح بن فوزان حفظه الله، وغيرهما[1].

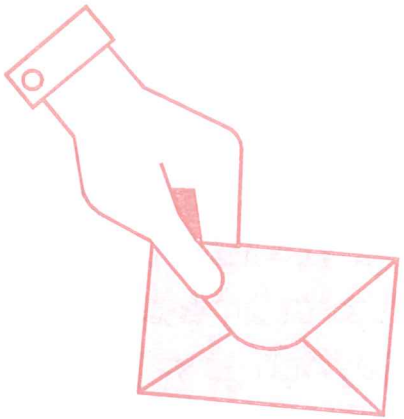

(١) الستالايت وخطره على الأمة مجموعة علماء، ص٣، ط.دار اليقين، وأنصح بالاطلاع على رسالة «الهوية أو الهاوية» للشيخ الفاضل محمد بن إسماعيل المقدم حفظه الله تعالى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النتيجة الحتمية لضياع الحياء

ونتيجةً لهذا الأمر الخطير، ولضياع المنهج التربوي والإيماني في الأمة -إلا ما رحم ربي- أن رأينا وشاهدنا هذه الانتكاسة الخطيرة لكثير من المسلمين حيث حلَّت الأخلاق الذميمة -والتي تقشعر لها الأجساد- بدلًا من الأخلاق الحميدة، ورأينا تدميرًا أخلاقيًّا وانصياعًا فكريًّا للأعداء، وهجرت فضائل الأخلاق -لا سيما الحياء- وألقيت في وادٍ سحيق، بل صار الكثير من الناس لا يعرفون للخلق الحسن وجودًا ولولا اسمها لماتت، إلى الله المشتكى!!

صور من ضياع الحياء

أولًا: ضياع الحياء عند كثير من شبابنا ومن أمثلة ذلك:

إطلاق البصر إلى ما حَرَّم الله، واقتراف ما حَرَّمَ الله من العادة السرية والزنا واللواط، والزنا بالمحارم والاغتصاب، والاطلاع على الصور الإباحية والأفلام الجنسية، والتسكع في الطرقات، والنظر إلى الرائحات والغاديات، واستعمال النعمة في معصية المنعم (معاصي الجوارح) كالنظر المحرم، والكلام المحرم (كالغيبة، والنميمة، وقذف الأعراض خاصة المحصنات، والسب بالدين[1]، والاستهزاء بالمؤمنين والصالحين، وشهادة الزور...).

(١) لهذا ننصح بقراءة هذه المسألة بشيء من التفصيل في كتب الفقه في أبواب الردة، كما ننصح بمراجعة كتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول» لشيخ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن صور ضياع الحياء أيضًا في واقع الشباب المسلم: كثرة المعاصي القلبية (كالكبر والخيلاء، والمجاهرة والتفاخر بالمعاصي، والحسد والحقد، والغل، وحب الظهور، وعبودية الذات مع الأنانية المفرطة، والعجب... إلخ).

من صور ضياع الحياء في حياة كثير من الشباب: الاستخفاف بالعلماء والدعاة، على الرغم من أنه من المعلوم يقينًا أن من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.

ومن صور ضياع الحياء عند كثير من شبابنا: التعاون على الإثم والعدوان كشرب السجائر، والمخدرات والمسكرات.

ومن ذلك أيضًا: مصافحة الأجنبيات لا سيما الشابات منهن.

ومن ذلك أيضًا: استغلال أصحاب الحياء أسوأ استغلال، وذلك عن طريق سرقة أموالهم، والإضرار بهم، والاستهزاء بهم، رغم أن النبي ﷺ حذرنا من ذلك فعن أبي حميد قال: «لا

الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث فصَّل شيخ الإسلام رحمه الله هذه المسألة وأجاد فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا، ونفعنا بعلومه.

يحلُّ للرجل أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه، وذلك لش
ما حرَّم الله من مال المسلم على المسلم»[1].

ومن أعظم الصور لضياع الحياء عند الشباب: أن تر
الواحد من هؤلاء من أرباب الفسوق يتفاخر بما وقع فيه
المعاصي، ويُحدِّثُ الناس بهذا ويجهر به وفي هذا إثمٌ عظيم.

كذلك ضعف الإيمان عامة والإيمان بالقضاء والقدر حا
ومره خيره وشره خاصة.

كذلك من صور ضياع الحياء: أن ترى شابًّا لا يعرف
الإسلام إلا اسمه وعن القرآن إلا رسمه، بل لا يعرف الوا
منهم فروض الأعيان التي سيُسأل عنها بين يدي الله تعا
ولكن يعرف كل شيء عن أخبار النجوم التافهين الساقطين،
تراهم شبابًا متكاسلاً مميعًا مخنثًا هو أشبه بالنساء، يَصْدُقُ
قول القائل:

(١) صححه الألباني في إرواء الغليل (٥/ ٢٧٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مَـــرُّ النَّـــسِيمِ يَجْـــرَحُ خَدَّيْـــهِ

ولمـــسُ الحريـــرِ يُـــدْمِي بَنَانَـــه

من صور ضياع الحياء عند الشباب: حرصهم على الأمور التافهة التي لا تنفعهم في دينهم أو دنياهم.

من صور ضياع الحياء عند الشباب: أن ترى بعضهم قد جنحوا عن الحق، وبعدوا عن الحياء بتقليدهم لباس من لا دين لهم، ومسلك من لا أدب لهم، ومظهر من لا خلاق لهم، حتى كأنك ترى بعضهم فلا تستطيع أن تميز أهو مسلم أم لا؟! بل وقد يَصْعبُ عليك أن تعرف أذكر هو أم أنثى؟! وبعضهم يفعل ما يدفعنا إلى هذا السؤال: أعاقل هو أم مجنون؟!

وإذا سألت هؤلاء وقلت لهم: إن هذه الأمور لا يفعلها إلا من فقد الحياء، إذ كيف يرضى الرجل لنفسه أن يتخنث ويتشبه بالنساء، في تكسرهن وميوعتهن ومظهرهن؟!

أليست هذه الأزياء مخالفة لطبيعة الرجل وفطرته؟!

وكيف يقبل المرء أن يعيش بلا هوية، يقلد هذا تارة، وذال مرة أخرى؟!

ألا تعلمون أن الإسلام قد وضع لرجاله أصولاً لمظه الرجولة وحقيقتها، وما ذاك إلا لأنه أراد لأتباعه التمي والكرامة، ومنع أتباعه من التخنث والميوعة والاختيال والمفاخرة والكبر، وحرَّم عليهم التشبه بالنساء وبالكافرين.

والعلة في ذلك: أن الرجل إذا تخنث وتشبه بالنساء فلا فائدة مرجوة منه، وإذا تشبه بالكفار ضاعت هويته وضلَّ سعيه، وإذا دخله العجب، وتسرَّب إليه الكبر فقد دخل مرض فتاك ينذر بهلاكه.

إذن فالإسلام يريد ممن ينتسب إليه أن يكون مسلمًا ظاهرً وباطنًا، إذ إن المرء يظهر عليه ما يعتقده ويؤمن به قلبه.

فإذا وجهت إلى هؤلاء هذه الأسئلة، سينقلب إليك بصرك خاسئًا وهو حسير.. فستجد إجابات بعضهم أو كلهم: «إن هذا شيء عادي، وهذه هي الموضة، وما علاقة الإسلا بالمظهر؟! وربك رب قلوب، والأعمال بالنيات».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من صور ضياع الحياء عند كثير من المسلمات

إن النساء شقائق الرجال كما صح عن رسول الله ﷺ، لأجل ذلك فالمرأة مأمورة بالتحلي بأحسن الأخلاق خاصة الحياء، والذي يُمدح في المرأة إذا تحلت به، وتوفر فيها، وما أجمل الفتاة إذا تزينت بالتقوى، وتجلببت بجلباب الحياء!!

لهذا ينبغي أن يكون الحياء ظاهرًا في جميع معاملات المسلمة، وفي جميع أحوالها، وأعمالها.

فمثلاً: إذا اضطرت المرأة للخروج من بيتها فينبغي عليها أن تخرج مستترة، غير متعطرة ولا متبرجة بزينة، وأن تحذر من الخلوة والاختلاط المحرمين.

لهذا أسألك أختي الكريمة: وأقول:

أين الحياء من الله إذا عصت المرأة ربها؟!

وأين الحياء من الناس إذا كشفت المسلمة عن محاسنها ومفاتنها؟!

وأين الحياء من النفس إذا خالفت المرأة نداء الفطرة السويَّة، فجعلت من نفسها «قطعة لحم رخيصة»؟!

هل من الحياء أيتها الأخت المسلمة الكريمة العفيفة: أن تسيري متبرجة كاسية عارية في الشوارع والطرقات (بحجة ملاحقة الموضة ومتابعة التطور ومسايرة الواقع)؟!

هل من الحياء التعاون مع بنات جنسك على الميوعة والتهتك؟

هل من الحياء ما تصنعين بنفسك أختي في الله: من وضع للمساحيق والعطور بأنواعها للتجمل في أعين الذئاب البشرية من الرجال الأجانب؟

هل من الحياء الاقتداء بالممثلات والمغنيات الفاسقات؟

هل من الحياء أمة الله ارتداء الملابس الضيقة والشفافة؟!

هل من الحياء مزاحمة الرجال في المجامع العامة والخاصة؟!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هل من الحياء أن تنطلقي في الشوارع والطرقات، والجامعات والمنتديات، والمتنزهات للقيام بعرض الأزياء في حالةٍ من التبرج هي أشد من تبرج الجاهلية الأولى؟!

هل توافقي على ما يحدث منك ومن مثيلاتك في فصل الصيف من عري وتكشف عند الذهاب للشواطئ للسباحة بما يسمى (المايوه)؟!

هل من الحياء أن تُلقي بنفسك رخيصة يتلاعب بك أرباب الفسوق والفجور بحجة الحب والإعجاب، عن طريق ما يُسمى (بالزواج العرفي أو ما يسمونه بنكاح الدم، ونكاح الهبة)؟!!... إلخ

هل من الحياء -أختي- مصاحبة الخليلات الساقطات، والابتعاد عن مصاحبة الأخوات الصالحات المحتجبات؟!!

هل من الحياء اقتناؤك للمجلات الساقطة، التي تحمل بين طياتها شرًّا مستطيرًا (من صورٍ محرمةٍ، وأزياء عارية مما يدفعك إلى التمرد والوقاحة وسوء الأدب؟!!.. إلخ

هل من الحياء أن تبذلي أموالك للنخاس كي يبيع لك الثوب الممزق، والبنطلون الضيق (بحجة مسايرة الموضة الغربية)؟!

هل من الحياء أن تتبعي أدعياء تحرير المرأة من أعداء الله، وأعداء المرأة المسلمة (أعداء الستر والعفاف وأنصار الخلاعة وأرباب المجون) الذين يأخذون بالأقوال العرجاء المبتورة من بطون الكتب لاستئصال الحياء والدين من المرأة المسلمة، وذلك عن طريق دفع الشبهات إليها: (كالتحرر من القرار في البيت، أو رفض الزواج)؟!

وهل من الحياء اتباع هؤلاء المجرمين ممن يوسوسن إليك قائلين: وما المانع أن تسافر المرأة وحدها بغير محرم؟ وما المانع أن تخرج المرأة وتشترك مع مثيلاتها وأخواتها في الإنسانية في مسابقات ملكات الجمال؟ وما المانع أن تتعلم المرأة مادة التربية الجنسيَّة؟، ما المانع من مصافحة المرأة المسلمة للرجال الأجانب ما دامت النيَّة حسنة؟، ما المانع أن تختلط المرأة بالرجال، وأن تضاحكهم، وأن تمازحهم؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم يكتفوا بذلك بل تجرءوا على شرع ربنا بكل وقاحة فقالوا: إن الحجاب عادة وليس من الدين في شيء!! والختان عادة جاهلية لا علاقة له من قريب أو بعيد بالإسلام!! والنقاب أمرٌ محدث لا أصل له في ديننا؟! إلى آخر ما قالوا، وما سيقولون من شبهات لإفساد دين المسلمات وإلى الله المشتكى!![1].

ألا فاحذري -أختي- من هذه الفتن -خاصة فتن الشبهات، وتجردي لله من الأهواء، وتعلمي شرع الله من العلماء الربانيين المتجردين.

(١) تحذير هام لكل مسلمة فطنة: لتعلم المسلمة المعاصرة أن هناك دعوات خبيثة تهدف إلى تغريب المرأة المسلمة، ولم يتوقف الأمر على الكفر وأهله، بل امتد إلى من ينسبون إلى الإسلام زورًا وبهتانا فحمل بعض المتأسلمين هذه الدعوات وقاموا بنشرها في بلاد المسلمين بكل قوة؛ فقاموا بحملات إعلامية مكثفة للحرب على الحجاب، والطعن في النقاب، وحاربوا شعيرة الختان،... وهدفهم من ذلك أن تعرى النساء وتفسد المجتمعات الإسلامية وتشيع الفاحشة في الذين آمنوا. وأنصح أختي الكريمة بمراجعة بحث «عودة الحجاب» للشيخ الفضال د/ محمد بن إسماعيل -حفظه الله تعالى- وراجع أيضا بحث «حراسة الفضيلة» للعلامة الراحل بكر أبو زيد -رحمه الله تعالى-.

من صور ضياع الحياء في الأسرة

التفريط في العبادات والاهتمام بالتفاهات، الدياثة الواضحة في كثير من أولياء الأمور ممن تركوا الحبل على الغارب لبناتهم وأبنائهم يفعلون ما يشاءون، وما يريدون عمن غير توجيه، أو تزيين على الكتاب والسنة، وخير شاهد على فسادة الأسرة، ما تفعله كثير من الأمهات [اللائي لا يتقين الله]، حيث تُوجِّهُ الأم ابنتها إلى لبس الملابس الضيقة التي تظهر بها على قريناتها (بحجة أن التبرج والسفور وسيلة سريعة للزواج وكسب الزوج القادر ماليًّا على إسعاد هذه الفتاة) [وخَسِرَ والله من هذا فكره وفهمه] فالزواج رزق من الله مقدرٌ عند ربي تبارك وتعالى وما عند ربي لا يُنال إلا بطاعته.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإن ما ذكرته آنفًا يجعل البنت وأمها تجني ثمرة مُرَّة من الآثام نتيجة لما ارتكبته من الآثام والأوزار. وقد يشتد غضب الرب تعالى على هذه الأم فيعاقبها في الدنيا باغتصاب ابنتها المستهترة، أو يرزق ابنتها بزوج فاجر داعر فتندم هذه الأم وابنتها، ولات ساعة مندم!!

ومن أخطر صور ضياع الحياء في الأسرة ما يعرف باسم الاختلاط العائلي: وما فيه من مفاسد عظيمة وخطر عظيم، أن الله إذا حرَّمَ شيئًا حرَّم أسبابه.

كذلك من المفاسد العظيمة والمنتشرة في كثير من الأسر المسلمة تنحية تطبيق الشريعة عمليًّا في البيوت، وغض الطرف عن كثير مما يقع فيه أفراد الأسرة من حرام بل صار أمر الحلال والحرام في كثير من الأسر سواء ولا حول ولا قوة إلا بالله. **فعلى سبيل المثال:** تجد كثيرًا من بيوت المسلمين إلا من رحم ربي ممتلئة بـ(الصور المحرمة، والتماثيل والتليفزيون وقنوات البث المباشر (الدش) والفيديو، والأغاني).

وعلى النقيض جُعل كثير من هذه البيوت كالمقابر، فهي خالية من الذكر والصلاة وتلاوة كتاب الله وتدارس العلم الشرعي.

وما أكثر المخالفات الشرعية في بيوت الكثيرين ممن يدَّعون الإسلام.

ونحن نناشد كل مسلم غيور محب لدين الله ونقول له:

-أخي في الله- إن ما تهدف إليه من إقامة وتحقيق شرع الله في الأرض، لا يتحقق إلا بتوفيق الله تعالى، ثم بإصلاح الفرد المسلم، الذي هو نواة لإقامة الأسرة المسلمة الصالحة، التي تحفظ أوامر الله، وتعمل بها، وتجتهد في تطبيقها على أرض الواقع المعاصر.

لذا فنحن نوصي الجميع ممن يريدون لدين الله أن يسود هذا الكون أن يجتهد كل منهم في إقامة الأسرة المسلمة الصالحة التي تُؤسَّس على شرع الله عز وجل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من صور ضياع الحياء في الأمة

المجاهرة بالمعاصي، واستعلان المنكر في الشوارع والطرقات، والمدارس والجامعات، والشركات والبيوت والمنتديات، حتى عمَّ الضلال البلاد، وأغرق الفساد العباد.

ومن صور ضياع الحياء في الأمة: اتباع الذين يشيعون الفاحشة في الذين آمنوا ممن ينادون بالدعوة إلى سفور النساء، واختلاطهن بالرجال الأجانب بدعوى ما يسمونه زورًا وبهتانًا «فنًّا راقيًا» و«حرية للمرأة» وغيرها من الشعارات البرَّاقة الكاذبة.

ومن صور ضياع الحياء في الأمة: الاستمتاع بالبرامج التي يُعدها مروجو الدعارة وطلاب المتعة المحرمة بدعوى أن هذه «فنون ممتعة».

ومن صور ضياع الحياء في أمة النبي ﷺ: أن يُوَسَّدَ الأمر إلى غير أهله، وأن نصف الساقطين والساقطات بأنهم القدوة والمثل، ونرفعهم فوق الرءوس ليكونوا أسوة لشبابنا، ونمنحهم الأموال والجوائز، ونضفي عليهم الألقاب الفخمة الضخمة، ونبذل لهم الجهود ليحوزوا قصب السبق.

ومن صور ضياع الحياء في الأمة: أن ترى الأمة -إلا من رحم ربي- تُطبق شعائر الإسلام على طريقة اليهود والنصارى بشكل مجرد من المشاعر والإيمانيات. وكما يُقال (تأدية الواجب) ثم ترى بعد ذلك تجاهلاً لباقي أحكام الشرع المحكم بحجة أن هذا الشرع يصلح للتطبيق في زمان النبي ﷺ وصحبه الكرام بينما لا تصلح هذه التشريعات للقرن الواحد والعشرين، وأن أحكام هذا الدين لا تتماشى والحياة الحديثة -زعموا-.

ومن صور ضياع الحياء في الأمة أن ترى من علماء السوء من يُزين الباطل ليسترضي بعض الفاسدين من ذوي الجاه والسلطان ممن لا دَين لهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن صور ضياع الحياء في الأمة: أن ترى بعض أقلام الحاقدين وأصوات المنافقين تنادي بعزل الدين عن الحياة، حتى وصل الأمر ببعض هؤلاء الذين يجهرون بعورات أفكارهم إلى الانتقاص من قدر رب العالمين ونبيه الكريم ﷺ.

ومما زاد الكارثة أن سمحت بعض الدول لهؤلاء العلمانيين الكارهين المحاربين لشرع رب العالمين أن يُبدوا آراءهم الوقحة في ثوابت شريعتنا.

ومن المصائب الجلل أن مثل هذا الفريق الفاشل، تنصب له منابر الإعلام، والصحافة، ليوجه شباب الأمة؟!

ووالله إن هذا مما يملأ النفس حزنًا وأسفًا على أمة يكون أمثال هؤلاء كتبة فيها، ومن العار والله أن يصبح توجه الفكر والأخلاق في هذا العصر بأقلام هذه الفئة المضلة المسيَّرة، التي خالفت جماعة المسلمين، وفارقت سبيلهم واشتغلت بتطميس الحق، ونصرة الهوى.

من صور ضياع الحياء في الأمة: استيراد الموروثات الفكرية والأخلاقية من أعدائنا.

وإن من صور ضياع الحياء في الأمة: أن يتناسى بعض المسلمين أنهم كالجسد الواحد (الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، وأن يتناسى بعض المسلمين قضايا أمتهم، وقضايا إخوانهم من المضطهدين والمستذلين في فلسطين، والمشردين في الشيشان والبلقان.

ومن أبرز صور ضياع الحياء وضياع الرجولة والديانة أيضًا: نسيان أو تناسي ما يحدث لإخواننا في كشمير والعراق وأفغانستان (من قتلٍ، وتنكيلٍ، وإبادة، وانتهاك للحرمات والمقدسات).

من أعظم صور ضياع الحياء: أن تعيش الأمة وقد توالت عليها المحن، وتوالت عليها المصائب، بل وادلهمت الخطوب على أكثر بلاد المسلمين، في معظم أقطارها إن لم يكن بها جميعًا، بل وتجري عليها الحروب والصراعات، وتُحاك لها المؤامرات، وهي لا تدري أين موقعها؟ وماذا يُراد لها؟ وعلى الرغم من ذلك ترى الكثيرين من أبناء بلدتنا يلهثون وراء الأعداء يستأنسون بآرائهم، ويحتكمون إلى قوانينهم ويرجون منهم الرحمة، وينشدون على أيديهم الخلاص.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن صور ضياع الحياء أن تعصف الهزيمة النفسية بقلوبنا، فننسى أو نتناسى أن نصر الله قريب.

وأخيرًا: إن من صور ضياع الحياء في الأمة: كثرة الخلاف (أقصد الخلاف غير المعتبر شرعًا)، الذي انتشر بين عموم المسلمين، حتى أحدث فرقة بين المسلمين؛ فصارت قلوبهم متنافرة وجهودهم مبعثرة... وإلى الله المشتكى!!

إليك حل هذه المشكلات

الدواء في أيدينا: ولكن علينا الاجتهاد في:

١- إصلاح معتقدنا في الله وفي رسوله.

٢- السير على منهج أهل السنة والجماعة في القول والعمل، والاعتقاد والسلوك.

٣- إصلاح النفس: ولنعلم أن صلاح الفرد المسلم يعني صلاح الأسرة، وصلاح الأسرة يعني صلاح المجتمع.

٤- الأخذ بأسباب العزة والريادة والتمكين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دعوة من القلب

إنها دعوة إليك أخي في الله وأختي في الله

دعوة من قلب أحبك في الله

دعوة: للحفاظ على أصل من أصول بقاء لأمم عامة وأمتنا خاصة، هذا الأصل هو «الأخلاق الكريمة»، والتي بُعث نبينا ﷺ لنشرها، ولإتمامها بين الناس، ودعوة الناس إليها.

دعوة: لتحصيل الأخلاق الإسلامية ومنها الحياء، ومحاولة تطبيقها والتخلق بها على أرض الواقع المعاصر.

دعوة: إلى من أراد الجنة (التي هي سلعة الله الغالية).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة».

فهيا أخي الكريم اجتهد في التحلي بهذا الخلق الفاضل ولا تسمع لمن يقول: «إن الطبع يغلب التطبع»، «وأنه لا أمل في التغيير».. إلخ

ووجه الرد على من يقول هذا الكلام: بيان الإجابة على مسألة هامة وهي هل الأخلاق جبلية أم كسبية؟!

والجواب:

* أن منها الجبلي الذي هو منحة من الله وجودٌ منه.
* ومنه وهو الأغلب «الكسبي» وهو ما يكتسب بالمجاهدة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الحق المطلوب.

فمثلا من أراد أن يحصل لنفسه خلق الحياء، فطريقه أن يتكلف ذلك مجاهدًا نفسه حتى يصير ذلك طبعًا، ويتيسر عليه فيصير به حييًا.. وجميع الأخلاق المحمودة شرعًا تحصل بهذا الطريق.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويدل على ذلك قوله ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يُعطه، ومن يتوق الشر يوقه».

فمن أراد تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة يصير كالخلق.. قال الشاعر

فلم أجد الأخلاق إلا تخلقا

ولم أجد الإفضال إلا تفضلا

والسؤال الآن: كيف أكتسب الحياء؟!

والجواب: حتى تكتسب خلق الحياء[1] فعليك بفعل التالي:

(١) وهنا مسألة هامة: هل الأخلاق جبليّة أم كسبيّة؟! والجواب: أن منها الجبلي الذي هو منحة من الله وجود منه، ومنه وهو الأغلب الكسبي (وهو ما يُكتسب بالمجاهدة وحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الحق المطلوب.

فمثلاً: من أراد أن يُحصل لنفسه خلق الحياء، فطريقه أن يتكلف ذلك مجاهدًا نفسه، حتى يصير ذلك طبعًا، ويتيسر عليه فيصير به حيًّا وجميع الأخلاق المحمودة سرعًا تحصل بهذا الطريق. ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يُعطه، ومن يتق الشر يوقه».

ومن عانى تهذيب نفسه تظاهر بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة يصير كالخلق قال الشاعر:

فَلَمْ أَجِدْ الأَخْلاقَ إلا تخلُّقا ... ولم أجدْ الإفْضالَ إلا تفضُّلاً

أولًا: الإخلاص لله تعالى، وصدق النية في طلب التحلي بهذا الخلق: اعلم -أخي الكريم- أن من أعظم أسباب توفيق الله تعالى للعبد في سائر أعماله، وأحواله الإخلاص لله وحده في سائر الأقوال والأعمال والأحوال، لهذا أوصيك أن تحرص على التحلي بالحياء بنية صادقة صافية من شوائب الرياء والسمعة ليرضى الله عنك، وتذكر أنه إذا عُدم الإخلاص فلا خلاص.

ثانيًا: اعتقد أنك مراقب!!

أخي الحبيب اعتقد أنك مراقب من ربك في كل حركة وسكنة: لأن هذا هو السبيل للتخلق بالحياء، حيث يتولد هذا الخلق الفاضل من علم العبد بنظر الحق إليه، فيحمله ذلك على تحمل المجاهدة، ثم يحمله ذلك على استقباح الجناية، ثم يحمله ذلك على احتمال أعباء الطاعة[1].

ثالثًا: واظب على التحلي بهذا الخلق وجاهد نفسك على العبادات الظاهرة والباطنة مع الاجتهاد في تجويدها وتحسينها وإتقانها.

(١) انظر هذا المعنى في المدارج (٢/ ٢٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رابعًا: استحضار عظمة الله: وهذا لا يتحقق إلا:

١- **معرفة الله حق المعرفة**. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: معرفة الله عز وجل حق المعرفة، نوعان:

معرفة إقرار: وهي التي اشترك فيها الناس البر والفاجر والمطيع والعاصي.

معرفة توجب الحياء منه والمحبة له وتُعلق القلب به، والشوق إلى لقائه وخشيته والإنابة إليه والأُنس به والفرار من الخلق إليه.

ولهذه المعرفة بابان واسعان: باب التفكر والتأمل في آيات القرآن كلها والفهم الخاص عن الله ورسوله.

والباب الثاني: التفكر في آياته المشهودة وتأمل حكمته فيها قدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه، وجماع ذلك الفقه في معاني أسمائه الحسنى وجلالها وكمالها وتفرده بذلك وتعلقها بالخلق والأمر، فيكون فقيهًا فقي أوامره ونواهيه، فقيهًا في قضائه وقدره، فقيها في أسمائه وصفاته، فقيهًا في الحكم الديني الشرعي، والحكم الكوني

القدري، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٢- **دراسة توحيد الأسماء والصفات**: وتحقيق الإيمان بالأسماء والصفات، ويكون بتدبر أسماء الله تعالى كالشهيد والرقيب والعليم والسميع والبصير والحفيظ وإدراك المعاني لهذه الأسماء والعمل بمقتضاها.

لأنه لا يمكن أن يستحي العبد من ربه، وهو لا يعرفه بأسمائه وصفاته.

فمثلاً: كيف يستحي العبد من ربه وهو لا يعرف مقتضيات اسم السميع، أو البصير؟!

خامسًا: اصدق اللجوء إلى الله: واجتهد في الدعاء والتضرع إليه سبحانه بذلٍّ وانكسار أن يرزقك هذا الخلق الكريم الفاضل خاصة في الأوقات الفاضلة والتي يغلب على الظن أنها أوقات تجاب فيها الدعوات، وقُلْ كما علَّمك نبيك ﷺ: «اللهم كما أحسنت خَلْقِيْ، فَحسِّنْ خُلُقي»[1].

(١) رواه أحمد (٦/ ٦٨، ١٥٥)، وصححه الألباني في الإرواء (٧٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سادسًا: كن ذا همة: فإن صاحب الهمة العالية يستعذب المحال ولا سيما إذا كان في سبيل الله، وقد قال أحد السلف: «كن ذا همة يُحيي الله بك أمة».

ولن تعلو همتكم إلا بتوفيق الله: فإن الموفق من وفقه الله، ثم بمصاحبة ذوي الهمم العالية الذي يستعذبون الصعاب في سبيل الله، ثم القراءة في سير أسلافنا، وأنصحك بالرجوع إلى: «علو الهمة» د/ محمد إسماعيل، «صلاح الأمة في علو الهمة» د/ سيد العفاني، «سير أعلام النبلاء» للذهبي رحمه الله.

سابعًا: احذر اليأس من الصلاح وإياك أن تردد قولة هؤلاء المخذولين الذين يزعمون أن الحياء مات، وشُيِّعت جنازته، أو أن الحياء خرج ولم يعد ولن يعود أبدًا، واعلم بأنه (من قال: هلك الناس فهو أهلكهم) كما صح عن رسول الله ﷺ.

ثامنًا: اسأل نفسك بكل صراحة وقل لها:

لماذا أفعل الحرام (أنظر إلى الحرام، وأستمع إلى الحرام).

كيف أنظر إلى فيلم فاضح، أو أسمع بأذني هذه الكلمات الخبيثة الفاضحة؟!

كيف أترك نفسي فريسة سهلة لأصحاب المعتقدات والأفكار الهدامة؟!

ثم قل لنفسك: إذا كنت أنظر إلى الحرام معتقدًا أن الله لا يراني فما أعظم كفري بربي وخالقي؟!

وإذا كنت أنظر إلى الحرام معتقدًا أن الله يراني فما أقل حيائي منه جل جلاله؟!

ثم وبِّخ نفسك وقل لها:

كيف لا أستحي من ربي الذي يعلم السر وأخفى؟!

كيف لا أستحي من رسول الله الذي ترك الإسلام أمانة في عنقي؟!

كيف لا أستحي من الملائكة الكرام البررة الملازمين لي ليلاً ونهارًا؟!

كيف لا أستحي من خلق الله؟!

كيف لا أستحي من نفسي التي بين جنبي، والتي ستشهد عليَّ يوم الدين؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تاسعًا: حاول ضبط نفسك: فاجتنب المعاصي، وتزود بالطاعات، واعلم -أخي الكريم- أن العلاقة وثيقة بين الحياء والطاعة، وبالتالي توجد العلاقة نفسها بين المعصية وذهاب الحياء.

فاحرص على ضبط نفسك، وضبط الجوارح عما يخالف هذا الخلق الكريم، بل واحرص على محاربة ومجاهدة النفس لأنها أمَّارة بالسوء، مع إلزامها عند التقصير بنوع من أنواع العقوبات «كالامتناع عن الطعام لمدة معينة عند وقوع المخالفة، أو التصدق بصدقة أو غير ذلك..» حتى تهذب النفس.

عاشرًا: خالط الصالحين وأرباب الحياء:

وكما قيل: «أحيي حياءك بمجالسة من يُستحيا منه، وإياك ورفقة السوء ممن لا يستحيون من ربهم، أو نبيهم أو أمتهم..»..

فصاحب الأبرار لتأخذ سمتهم قيل لابن المبارك: أين تريد؟ قال: البصرة، فقيل له: لم؟ فقال: ابن عون آخذ من أخلاقه وآدابه[1].

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٢٥٥).

الحادي عشر: مطالعة كتب السلف لا سيما الجانب الأخلاقي عندهم، قال ابن الجوزي: عليكم بملاحظة سير القوم ومطالعة تصانيفهم، وأخبارهم، والاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم.

ثم قال رحمه الله: وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه، لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته، فافهم هذا وامزج طلب الفقه والحديث بمطالعة سير السلف والزهاد في الدنيا ليكون سببًا لرقة قلبك[1].

وقديما قالوا:

إِذَا أَعْجَبَتْكَ خِصَالُ امْرِئٍ
فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكَ
فَلَيْسَ عَلَى الْجُودِ وَالْمَكْرُمَاتِ
حِجَابٌ إِذَا جِئْتَهُ يَحْجُبُكَ

(١) صيد الخاطر ص١٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخيرًا: احرص على دعوة رفاقك للتحلي بهذا الخلق: فإن هذا من أسباب ثباتك على هذا الخير العظيم.

اجتهد في التأمل في نعم الله عليك، وقابل ذلك بمطالعة عيب نفسك، لتعرف أنك مقصر في حق الملك سبحانه وتعالى؛ فإنه من شاهد نعم الله، وطالع برَّ مولاه، وشاهد إحسانه الذي تفضل به عليه، وشاهد برَّ مولاه عليه من رأسه إلى قدميه، وفي نفس الوقت نظر إلى تقصيره في جنب ربه،و إلى ذنوبه في حق مولاه.

حينئذ يخجل العبد وينكسر قلبه بين يدي الله تعالى ويستحي من ربه، ويعلم أن كل ما هو فيه فهو محض فضل الله عليه.

وبالتالي يصل إلى أعلى الدرجات العبودية لرب البرية سبحانه وبحمده.

الخاتمة

نسأل الله حسنها

وخاتمة المطاف بعد رحلة في الكتاب والسنة، وبطون أمهات الكتب أقول:

لا يخفى على كل فَطِنٍ بصير بواقع المجتمعات، ما تتعرض إليه المجتمعات من انحرافات واضحة في جانب السلوك والأخلاق، والتي تؤدي إلى هلاك هذه المجتمعات والإذن بزوالها.

لهذا أنصح المسلمين برفع شعار

من هنا نبدأ

كما أنصح إخواننا في الله بما نصح به شيخ الإسلام في عصرنا وبركة الزمان وحسنة الأيام الشيخ العلامة ناصر محمد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ناصر الدين الألباني حيث قال: «إذا أردنا استئناف الحياة الإسلامية، وإقامة المجتمع المسلم فلا بد من القيام بهذين الواجبين «التصفية والتربية»».

ويعني رحمه الله بالتصفية: أي: تصفية العقائد مما هو غريب عنها كالشرك، وتصفية السنة من الضعيف والموضوع، وتصفية الأخلاق الإسلامية من العادات والتقاليد المذمومة، وتصفية الفكر الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنة.

ثم يقصد رحمه الله بالتربية: تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفى من كل ما ذكرنا تربية إسلامية نبوية صحيحة منذ نعومة أظفاره دون تأثر بالتربية الغربية الكافرة.

وأخيرًا.. وليس آخرًا

ها أنا ذا قد جمعت لك جملاً حول هذه الفضيلة المحوريَّة المباركة، وحاولت أن أدفعك للتحلِّي بها لتكون من أهل الله السعداء في الدين والدنيا والآخرة.

فاحرص على العمل بما علمت، واعلم أنه لا يُجتنى من الشوك العنب، كذلك فلا ينزل الفجار منازل الأبرار.

فاحرص على أن تكون من أهل الحياء الأبرار، فإنه من تشبه بقوم فهو منهم.

ولا تنس مناجاة ربك في سرِّك وجهرك، وفي الخلوة والجلوة.. وقل:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي، أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي أخرى..

واذنوباه

خطيئة لم تَبْلُ وصاحبها في طلب أخرى.

واذنوباه

إن كانت النار لي مقيلاً ومأوى.

واذنوباه

إن كانت المقامع لرأسي تهيأ.

يارب

يا رب؛ وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك، ولا عصيتك إذ عصيتك، وأنا بجلالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولا لنظرك مُستخف، ولكن سَوَّلت لي نفسي، وأعانني على ذلك شقوتي، وغرني سترك المرخيُّ عليَّ،فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي، فمن عذابك الآن من يستنقذني؟! وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟

واسوأتاه

من الوقوف بين يديك غدًا إذا قيل للمُخِفِّين: «جوزوا» وقيل للمثقلين: «حطوا» أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين أحط؟

ويلي

كلما كَبُرَت سني كثرت ذنوبي، ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي، فإلى متى أتوب؟! وإلى متى أعود؟ أما آن لي أن أستحيي من ربي؟!

إلهي يا كثيرَ العفوِ عفوًا
لما أسلفتُ في زمنِ الشَّبابِ
فقد سَوَّدتُ في الآثامِ وجهًا
ذليلاً خاضعًا لك في التُّرابِ
فبيِّضْهُ بُحسنِ العفوِ عنِّي
وسامحْني وخَفِّفْ مِنْ عذابي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلهي!!

سائل ببابك انقضت أيامه، وبقيت آثامه، وانقضت شهواته، وبقيت تبعاته، ولكل ضيف قِرَى، فاجعل قِرايَ الجنة بمنِّك وكرمك. يا أكرم الأكرمين، ويا أجود الأجودين.

جعلنا الله وإياكم أهلا للتخلق بالأخلاق الحسنة الكريمة لا سيما خلق الإسلام الحياء.

كن -أخي الكريم- في هذه الرسالة مطالعًا متدبرًا وكن لخيرها ناقلاً، ولا تكن كالغراب لا يقع إلا على الديدان والحشرات، ولكن كن كالنَّحل يسعى في البستان بين أزهاره، وينقل من رحيقه فيحيله الله تعالى إلى شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس.

وأختم هذه الرسالة بهمسة في أذن كل قارئ من إمامنا الشافعي إذ يقول: «من صَدَقَ في أخوة أخيه: قَبِلَ عِللَه، وسَدَّ خللَه، وعفا عن زللـه» والله نسأل أن يرزقنا وإياكم الإخلاص

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في الأقوال والأعمال والأحوال، وأن يسبل علينا ستره الجميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

وكتبها الفقير إلى الله القدير[1]

علي بن قاسم علي

تحريرًا في ليلة الأربعاء الموافق ١٧ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ

٥ من سبتمبر سنة ٢٠٠٠م

(١) ثم جرى فيها قلم الإصلاح سنين عددًا، ولولا أن رغبة الكمال تضيع الكثير من الأعمال لما أخرجتها إلى النور مرة أخرى، ولكن قدَّر الله وما شاء فعل!!

في خطبة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ[1] عن

الحياء خلق الإسلام

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد..

عباد الله... ورد في صحيح البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**».

أيها المسلم.. الحياء خلق كريم وصفة من الصفات الحميدة، ولذا اتصف ربنا بالحياء، قال ﷺ: «**إن الله حَيِيٌّ يستحي أن يرفع عبده يديه فيردهما صفرًا**»، فالحياء من الأخلاق الكريمة، ومن الأخلاق المتوارثة عن الأنبياء، فإنه مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى، فهو خلق متوارث، وهو من أخلاق الأنبياء، ونبينا ﷺ قد رَغَّبَ في الحياء وحثَّ عليه، وأخبرًا إن الحياء شعبة من شعب الإيمان، يقول ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،**

(١) الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ -حفظه الله تعالى- هو مفتي عام المملكة العربية السعودية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والحياء شعبة من شعب الإيمان»، فالإيمان تنفيذ أوامر أو بعد عن النواهي، والحامل على البعد عن النواهي والمخالفات الحياء من ربنا جل وعلا، فكلما قوي الحياء في قلب المؤمن قويَ حياؤه من الله وأقبل على طاعة الله وابتعد عن مناهي الله، نعم إنه يستحي من ربه؛ فهو يعلم أن الله يراه ولا يخفى على الله شيء من حاله، حياء يحمل المسلم على تنفيذ أوامر الله جل وعلا والبعد عن نواهيه استحياء من الله لما قام في قلبه من اطلاع الله عليه، ولعلمه بحاله، وأنه لا يخفى على الله من حاله شيء قَلَّ ذلك أم كثر:

أيها المؤمن الفاضل: الحياء خلق يدعوك إلى التحلي بالفضائل والبعد عن الرذائل، والحياء يدعوك إلى الخجل من نفسك، والحياء من ربك، ثم من عباده.

الحياء أيها المؤمن يدعوك ألا تجهر بالمعاصي ولا تعلنها، بل تتركها إن وفقك الله، فإن قُدِّرَ وزَلَّتْ قدمك؛ فالمسلم حياؤه أيضا يمنعه من المجاهرة بالمعاصي ونشرها وإشاعتها، ولهذا في الحديث: «كل أمتي معافى إلا المجاهرون»، وذكر ﷺ أن من

المجاهرة بالمعاصي نشرها وإشاعتها كأن يعمل الرجل العمل في الليل، فيصبح وقد ستره ربه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وأمسى يستره ربه فيصبح يهتك ستر ربه عليه، فالمجاهرون بالجرائم والمعلنون لها لا يبالون بما يفعلون، ولا يستحيون من الله ثم لا يستحيون من عباد الله أن يراهم الناس وهم على خير أم شر، فالكل عندهم سواء لأن القلب إذا ضعف منه لا يبالي بما عمل خيرًا كان أم شرًّا، يعمل ما تهواه نفسه ولو كان ذلك أمام الناس علانية لأن الحياء قد فُقِدَ من قلبه فلا إحساس عنده ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨].

أيها المسلم كلما قوي الحياء في القلب دل على قوة الإيمان، وكلما قوي الحياء في العبد عظمت مروءته، وكلما قويَ الحياء حسنت أخلاقه وعَظُمَ بذله وعطاؤه بل كلما قوي الحياء تحلى بالفضائل كلها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أيها المسلم: يلزمك أن تستحي من ربك سبحانه، كيف لا وهو الذي خلقك وصورك في أحسن تقويم، ومنحك الصحة والسلامة والعافية فأين نحن من الحياء من الله عباد الله؟

ثم عليك أخي أن تستحي حتى من نفسك وتستحي من أهل بيتك كأن تعمل عملا تراه سيئًا تخشى أن يطلعوا عليه أو ينظروا لحالك، فاستحياؤك منهم يدل على الرغبة في الخير، فإنك إذا استحييت اليوم فغدًا يكون ترك الشر خُلقًا جميلاً.

أيها المسلم: إن المؤمن يستحي أن يقول أقوالاً بذيئة أو يتحدث بألفاظ وقحة، ولهذا مُنِعَ المسلم من أن يشيع ما بينه وبين امرأته وأخبر ﷺ أن هذا بمنزلة شيطان لقي شيطانة، فمن الحياء كتمان ما بينك وبين امرأتك وعدم إفشاء ما يجري بينك وبين زوجتك فإن إفشاء ذلك قلة حياء، والبعض من الناس - هدانا الله وإياهم- لا يبالون بالكلمات البذيئة، ولا بالكلمات الوقحة، ولا بالكلمات الهابطة يتحدث بها بعضهم من غير خجل ولا حياء وذلك ضعف في الإيمان، والنبي ﷺ ما كان كذلك، كان يُلَمِّح ولا يُصرِّح، بل إذا تأملت كتاب الله تراه

يذكر الفواحش مجملةً من غير أن يُفَصِّل في جزئياتها، فالتحدث بالكلمات السيئة والكلمات الهابطة على وجه الانبساط والمزاح والضحك هذا ينافي الحياء، والمطلوب أن يتخلق المسلم بالأخلاق الفاضلة فتراه يستحي من أن يُطالب معسرًا يعلم أنه معسر، يستحي أن يطالبه ويخجل أن يُلْحِقَ الضرر به، وإنما يُهْمِلُهُ رجاء أن يُيَسِّرَ الله أمره، تراه يستحي أن يسأل الناس، أو يلتجئ للناس أو يمد يده للناس، حياؤه يمنعه لو كان فقيرًا ولذا قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة: ٢٧٣] فالحياء يمنعهم فيظهرون أمام الناس مظهر الغني في ملبسه، وقلة شياكته مظهرًا حسنًا، يحسبه من يراه ذا غنى وثراء لعفة نفسه، وترفعه عن سؤال الناس والله يعلم ما في باطن أمره. ولكن مظهره مظهر العزة والكرامة، فلا تراه يسأل الناس ولا يتعرض لهم، ومن يراه يرى منبتًا حسنًا ويرى حياءً عظيمًا ويرى عفة للنفس، والله يعلم ما في باطن أمره وهو ربما لا يملك قوته ولا قوت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولاده، وآخر من الناس انْتُزِعَ الحياء منه فتراه وراء الناس يلهث يشحذهم ويسألهم في كل مناسبة تحدث، وربما حَلَفَ الأيمان الكاذبة على فاقته وفقره ليستعطف الناس ليحصل على كل ما في أيدي الناس، وهذا قلة حياء وعدم خجل، وإن من عباد الله من تحمله قلة الحياء على الفساد إذ تراه دائما مع أهله في خصام ونزاع وقلة صبر على أتفه الأسباب، لا يمنعه خجل ولا يبالي أن يناقش في القليل والكثير من الأمور المادية التي يُمكن الصبر عليها.

أيها المسلم: إن الحياء خلق كريم، ولهذا كان نبينا ﷺ أعظم الخلق حياء، فما سُئِلَ شيئا إلا أعطاه، بل كان ﷺ يعطي كل من سأله ما وجد لذلك سبيلاً...

أيها المسلم: إن الحياء حقيقته القيام بالواجب، والبعد عن المنهيات، والتخلق بالفضائل، والبعد عن الرذائل القولية والفعلية.

أيها المسلمون: إن قلة الحياء دعت الكثير من هذه القنوات الفضائية التي تنشر في مسلسلاتها الإجرام والفساد، وتنشر

الانحلال والانحطاط بالقيم، فهي تنشر أحيانا العلاقات الجنسية واضحة أمام الرائين، تنشر أفلامًا في غاية الهبوط والسوء والإجرام، إن المسلم ينبغي أن يحذر مشاهدتها ويُحذِّر أولاده وبناته من مشاهدتها ففيها من البلاء والفساد والتهتك والبعد عن كل خير ما الله به عليم، فهي قنوات انحلالية والعياذ بالله يُصورون الرجال والنساء عراة بلا ملابس في حالة مزرية، إنها أفلام هابطة ومسلسلات إجرامية تنزع الحياء من قلوب المؤمنين، فالمسلم واجب عليه البعد عنها وأن يُحذر بناته وأولاده من هذه المسلسلات الإجرامية ومن هذه القنوات المنحلة، كما على المسلم أن يحذر من الذين يريدون إفساد أخلاقنا نحن المسلمين بل وإفساد عقائدنا وديننا بل وعليه أن يجتهد في التعاون على البر والتقوى.

أيها المسلم: الحياء لا ينبغي أن يمنعك عن قول الحق ولا عن التحدث بالحق، فالحياء الذي يمنع عن الحق هذا جبن وخور، كذلك فلا يمنعك الحياء من التخلي عن الرذائل والنواقص، أما السؤال عن الحق والدعوة إلى الحق ونشر

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الهدى ودعوة الناس فإن هذا خير، ولا ينبغي أن يكون الحياء صارفًا عن هذه الأمور الطيبة.

أسأل الله أن يمنحنا وإياكم التوفيق لما يحبه ويرضاه، وأن يُخلقنا بكل خلق يحبه ويرضاه، فاللهم كما أحسنت خلقنا فحَسِّنْ أخلاقنا، إنك على كل شيء قدير[1].

(١) نقلاً عن مجلة الدعوة العدد ١٨٠٨، جمادى الآخرة سنة ١٤٢٢هـ/ ٦ سبتمبر سنة ٢٠٠١م.

الفهرس

مقدمة الشيخ محمد حسان حفظه الله	٣
مقدمة الدكتور أحمد فريد حفظه الله	٧
مقدمة المؤلف	١١
تمهيد	١٧
تعريف الحياء	٢٥
لماذا الحياء؟	٣٤
أولًا: لارتباط الحياء بالعقيدة الصحيحة	٣٦
ثانيًا: فضل الحياء في الكتاب والسنة	٤٠
ثالثًا: لأن الحياء أحد شعب الإيمان	٤٦
رابعًا: لأن الحياء دليل حياة القلب	٥٣
خامسًا: لأن الحياء خلق فاضل يكسو المرء وقارًا	٥٥
سادسًا: لأن الحياء من الأسباب الجالبة لمحبة الله ورضوانه	٥٨
سابعًا: لأن الحياء من الأسباب الجالبة لرضا الله	٦١
ثامنًا: نتخلق بالحياء تخلقًا بأخلاق الله	٦٢
تاسعًا: الحياء من سنن الفطرة الدالة على كرم السجية	٦٤
عاشرًا: الحياء من سمات الأنبياء	٧٢
الحادي عشر: الحياء هو سمت خير هذه الأمة بعد نبينا	٨٩
الثاني عشر: الحياء أصل لكل خير	١٠٢
الثالث عشر: لأننا نعيش في مجتمع مسلم له قيمه وأغراضه	١٠٦
الرابع عشر: لندعم بالحياء سائر علاقاتنا الإنسانية	١٠٨
الخامس عشر: لأنه صفة حضارية	١١٩
مظاهر الحياء وأقسامه	١٢٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أنواع الحياء	١٣١
الحياء من المشرع (الله ورسوله)	١٣٣
الحياء مع النبي ﷺ	١٧٥
الحياء مع الناس	١٨٧
الحياء مع النفس	٢٠٢
بركات الحياء	٢٠٦
من ثمرات الحياء	٢١٦
مفاهيم مغلوطة	٢٢٥
احذر الحياء المذموم	٢٢٩
عظمة السلف وعورة الخلف	٢٤٨
ماذا لو ضاع الحياء؟!	٢٥٨
أسباب ضياع الحياء	٢٦٢
محاولة الأعداء طمس الفطرة السوية	٢٦٢
الاغترار بما عليه الكثرة من المسلمين	٢٦٦
التقليد الأعمى للكفار	٢٦٧
الغزو الثقافي والفكري وضعف المنهج التربوي	٢٦٩
صور من ضياع الحياء	٢٧٣
دعوة من القلب	٢٩٢
الخاتمة	٣٠٣
خطبة (الإسلام خلق الحياء) للشيخ عبد العزيز آل الشيخ	٣١٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تخيل لو ! ! !

أخي القارئ الكريم . . تخيل حياة لا أخلاق فيها كيف تكون ؟ !
وكيف يحيا فيها الإنسان السوي الذي ميزه الله بالعقل والفكر والفهم؟ !
وكيف يعيش الفرد المسلم في مثل هذا المجتمع الذي هو أشبه بمجتمع الحيوانات أو الجمادات ؟ !

إن سلطان الأخلاق هو أكبر سلطة ذاتية موجهة ، فإذا فُقدت من أمة . . فمعنى ذلك إنهيار هذه الأمة ، وتدهور حالتها الإجتماعية ، حيث لا أمن على الأعراض ولا أمان على حياة الأفراد . . وهذا يؤذن بنهاية هذه الأمة ونظرا لخطورة هذا الموضوع ، ألفت سلسلة "أخلاقيات إسلامية غائبة" هذه السلسلة المباركة التي عالجت الكثير من الأمور ، ومن ذلك :-

كيف نحيا بالأخلاق الإسلامية في واقعنا المعاصر؟
وكيف نحظى بثمرات وبركات هذه الأخلاقيات ؟
وكيف تكون الأخلاق سبيلا إلى ريادة الأمة وعزتها ؟

لأجل هذا كله بدأنا سلسلتنا المباركة بالتذكير والترغيب في التحلي بخلق الحياء لأنه صمام أمان لسائر الأخلاق ، إذ هو ينأى بالمرء عن الرذائل ، ويحجزه عن السقوط إلى سفاسف الأخلاق ،وحمأة الذنوب.
كذلك فالحياء معين للمرء على الإجتهاد في الفضائل وارتياد معالي الأمور وهو سياج واقي لحماية القيم ، وضبط إيقاع السلوك البشري ، فبتحصيله يكون الخير الكثير وبفقده يصير الواحد كالعجماوات .
والله أسأل أن يلهم المسلمين عودا حميدا إلى أخلاق الإسلام الحنيف ، وإحياءاً لمحاسن الشرع الحنيف ، إنه ولي ذلك والقادر عليه

المؤلف

مكتبة سلسبيل
مكتبة سلسبيل شارع العزيز بالله حدائق الزيتون القاهرة
24522919 0106761219

www.alukah.net

سلسلة أخلاقيات إسلامية غائبة

الحياء المفقود

إعداد

الفقير إلى عفو ربه

علي بن قاسم علي

قدم له

فضيلة الشيخ

محمد حسان

فضيلة الدكتور

أحمد فريد